

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة | العدد ١٣٣ | رجب ١٤٣٥ هـ

إيران والانقلابات العسكرية في إفريقيا

مشروع داعش: احتلال سوريا (القصة الكاملة)

حزب التحرير بالسودان.. إدمان النقد وارتباك النهج..

إيران تستمر في عدوانها وروغانها

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٣٣)
رجب ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

إيران تستمر في عدوانها وروغانها

لا تزال السياسات والمواقف الإيرانية تواصل عدوانها على الأمة الإسلامية على كافة المستويات وبكافة الصور، فإيران تقف خلف الكثير من عمليات تهريب المخدرات في العالم الإسلامي، بل إن حزب الله يشرف على زراعة وتجارة المخدرات في منطقة البقاع والجنوب اللبناني، من آخر أخبار هذا العدوان الحكم على ٨٦ سجيناً إيرانياً في ماليزيا بالإعدام بتهمة التورط في تهريب المخدرات.

كما تتواصل عمليات التجسس على دول المنطقة وزرع الخلايا النائمة فيها، والتي تعمل على تسهيل مهمات إيران في التغلغل والتسلل لمراكز القرار فيها، وصولاً لمرحلة السيطرة الكاملة.

وأيضاً لا تنفك إيران عن دعم قوى المعارضة في محاولة لبناء تحالفات مع قوى محلية، لتتوسل بواسطتها إلى التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول وإيجاد موطئ قدم لها، فيها، وهذا الدعم قد يصل لحد بناء امبراطورية مستقلة في داخل الدولة، كما هو حال حزب الله في لبنان أو الحوثيين في اليمن.

أما جهود تأليب التجمعات الشيعية على أوطانهم وأنظمتهم فهذا سلوك دائم، وهو انعكاس لرؤية إيرانية معروفة وإن لم تعلنها صراحة، ألا وهي أنها الراعية والمسؤولة عن الشيعة في العالم على غرار اعتبار إسرائيل نفسها راعية لليهود في العالم!

ولا يتوقف العدوان عند هذا الحد بل يستمر في رعاية العدوان السياسي من خلال تعطيل العملية السياسية أو الانتخابات بحجج شتى، مما يشل البلاد ويعطل مصالح الناس طالما أن أتباع إيران لم يتفوقوا في اللعبة السياسية، كما حصل في لبنان والبحرين والعراق.

واحتلالها لدولة الأحواز والجزر الإماراتية دون حياء أو خجل وهي تتشدق بنصرة الضعفاء ونجدة الملهوف، وهي في الحقيقة تتماهى مع إسرائيل في عدوانها بل تتفوق عليها.

وهذا كله في ناحية، والحرب التي تشنها إيران على الشعب السوري وقوى الثورة ناحية أخرى، فإيران تشارك بكل قوة وعزم في دعم وتمويل وتسليح وإمداد بالرجال للمجرم بشار الأسد، كما سبق أن مولت بالمال والسلاح والخبرة حزب الله في لبنان والميلشيات الشيعية في العراق والحوثيين في اليمن وشيعة البحرين وغيرهم.

وقد كانت نتائج هذه الاعتداءات المتكررة والمتواصلة قتل مئات الألوف وتشريد آلاف العوائل وتخريب حياة ألوف الشباب بالمخدرات، وتهديد الأمن الوطني للدول، وتكوين طوابير من العملاء والأجراء في الإعلام والسياسة وغيرها.

وبعد هذا كله لا تتورع إيران وعلى ألسنة قياديها بمختلف مراتبهم ومكانتهم من التصريحات المنهمرة حول نواياهم الخالصة لجيرانهم! وحرصهم على العلاقات الودية والسلمية! ورغبتهم بالتعاون في مسيرة التنمية! واستعدادهم لكافة أشكال التكامل والشراكة!

وفوق هذا كله نفي إيران القاطع لتدخلها في شؤون الآخرين، أو دورها في أي عمل من شأنه تكدير صفو العلاقات الإيجابية! ولذلك فهي لا تكف عن إرسال مسؤوليها في زيارات ودية لمختلف دول الجوار للتأكيد على هذه المعاني السلمية!

إن البقاء في هذه الحالة من المراوغة والدبلوماسية البئيسة التي تخجل أن تقول للمجرم مجرما في وجه وللمعتدي كف عن عدوانك بكل صراحة هي حالة مقيتة لا تنصر حقاً ولا تكف ظلماً.

والخروج من هذه الحالة يكون بمكاشفة صريحة مع الذات حول عدوان واعتداءات إيران وحلفائها على الجميع في الأمة الإسلامية والعالم، وفضح هذه العدوان بمختلف الصور والأشكال، وتعرية الدوافع الطائفية والعنصرية خلف تلك المواقف والسياسات.

ثم تعرية وفضح الخلايا النائمة والعملاء المأجورين الذين يقومون بالتمويه والتغطية على عدوان إيران والدعوة للوحدة والتعاون والتعايش معها، وكأننا نحن الذين نعتدي عليها ونحتل أرضها ونقتل شعبها؟

أي تعايش هذا الذي تردد أبواق إيران في بلادنا من الصحفيين والأحزاب اليسارية! والمتشيعين هنا وهناك عبر مؤتمرات وندوات تختبئ تحت محاربة الإرهاب! وهل هناك إرهاب أشد من إرهاب إيران ووكلائها؟

وحتى إرهاب داعش والقاعدة ألم يثبت مسؤولية إيران عن جزء كبير منه عبر إيوائهم في طهران سنوات طويلة، وعبر تسليحهم بشكل مباشر وغير مباشر، وعبر تهريبهم من السجون وتسهيل مرورهم عبر نقاط التفتيش، والأعجب من هذا لماذا نجا هؤلاء الإرهابيون من القتل الأعمى الذي تقوم به إيران والذي يطال الأبرياء في الشوارع والمساجد والسجون؟؟

وبعد خطوتي المكاشفة مع الذات وفضح العملاء والخلايا النائمة، يجب تنبيه الجمهور بكافة شرائحه وأطيافه من حقيقة السياسات والمواقف الإيرانية ومن يدور في فلكها، ومدى ضررها على الأمة والمجتمعات والأفراد.

ومن ثم اتخاذ سلسلة من الإجراءات الحازمة التي تقلص من العدوان الإيراني المباشر وغير المباشر، مثل:

- تغليظ عقوبة تهريب المخدرات وسرعة البت فيها وتنفيذ الحكم علانية وسريعا.
- عدم التهاون مع الخلايا النائمة، وخلايا التجسس، وتشديد العقوبة مع التشهير.
- إعلان منع وحظر كل الميلشيات الإرهابية الموالية لإيران، ومنع التعاون معهم أو الافتخار بهم.
- تشديد الرقابة على السفارات الإيرانية ودبلوماسييها.
- مناصرة قضية الأحواز العربية على كل المستويات.
- التصعيد في رفض التدخل الإيراني في سوريا والعراق والبحرين واليمن ولبنان وعلى كافة الصعد القانونية والدولية.



مجلس تشخيص مصلحة النظام... ذراع المرشد خصم وحكم

معتز بالله محمد(*) - خاص بالراصد

هو أحد أذرع الحكم الإيراني والهيئة الاستشارية العليا له، من بين مهامه الرئيسة تقديم النصح والمشورة للمرشد الأعلى للثورة حال وجود مشكلة عصية على الحل تتعلق بسياسات الدولة العامة.

كان الظهور الأول لمجلس تشخيص مصلحة النظام أو مجمع تشخيص مصلحة النظام في عام ١٩٨٤ بعد أربع سنوات من اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية التي استمرت حتى عام ١٩٨٨، حيث تم تشكيله من أصحاب الاختصاص لتقديم المشورة للمرشد الذي كان وقتها الخميني.

جرى العمل على تقنين المجلس عام ١٩٨٩ في إطار التعديل الذي طرأ على دستور الجمهورية الإيرانية، الأمر الذي استدعى وضع تعريف محدد للمجلس يأخذ من خلاله صورته القانونية داخل النظام القانوني والسياسي في إيران.

هيئة استشارية

ويتبع هذا المجلس كهيئة استشارية للمرشد الأعلى، وفقا لما نصّ عليه البند الأول من المادة ١١٠ من دستور البلاد والذي يقضي بأن رسم السياسات العامة للنظام هو شأن خاص بالمرشد الأعلى وذلك بعد استشارة المجلس، الأمر الذي يعني أن قرارات هذا الأخير غير ملزمة للقائد. صحيح أن الأخير يقوم باستشارة تلك الهيئة الاستشارية إلا أن بإمكانه اتخاذ قرارات مغايرة لتلك التي أوصى بها المجلس.

وبخلاف تقديم المشورة للقائد، يضطلع المجلس بمهام أخرى وهي أن يكون حكما بين مجلس الشورى (البرلمان) الذي يتم انتخاب أعضائه الـ ٢٩٠ في اقتراع مباشر كل أربع سنوات وبين مجلس صيانة الدستور- أو مجلس الرقابة على القوانين (شوراي نگهبان) والذي يعد أعلى هيئة تحكيم في إيران والمكون من ١٢ عضوا - في حال نشوب أزمة بينهما، وتصبح قرارات مجلس تشخيص مصلحة النظام بشأن خصومة الهيئتين نافذة بعد مصادقة المرشد عليها، لذلك فهو يعتبر أعلى هيئة للتحكيم السياسي في إيران.

دور تشريعي

وقد أضاف الخميني اختصاصات تشريعية للمجلس، استطاع من خلالها وضع قانون محاربة المخدرات التي تصل عقوبة الاتجار فيها إلى الإعدام، وكذلك بعض القوانين العاجلة الأخرى التي أعطت الحكومة صلاحيات تشريعية وقضائية تحت فتوى حق الحكومة في التعزير، أي وضع العقوبة المناسبة وتنفيذها بالسرعة التي تقتضيها الظروف، كما حدث في قضايا السوق السوداء والتهريب. وقد استفاد الخميني في قرار إنشاء المجلس من الدستور الذي يعطي الولي الفقيه (الزعيم) الحق في تفويض شخص أو مجلس أو هيئة ببعض اختصاصاته.

ومن مهام المجلس الرئيسة أن يختار في حالة وفاة

(*) كاتب مصري.

المرشد أو عجزه - إثر مرضه أو أية حادثة أخرى — عن القيام بواجبات القيادة، بقرار من مجلس الخبراء عضوا من مجلس القيادة يتولى مهام المرشد حتى انتخاب مرشد جديد.

ويقوم المجلس عبر مركز بحوث ودراسات خاص به ببحث المشكلات الأساسية للبلاد بتقديم الاستشارات لرئيسه وللمرشد الأعلى، كما يقوم باقتراح السياسات العامة للدولة في مختلف المجالات، إضافة طبعا إلى التحكيم بين المؤسسات والمجالس المختلفة في السلطات الثلاث عند الخلاف حول أية قضية أو مشروع أو قرار أو قانون، وقراره نهائي يتوقف فقط على اعتماد المرشد له.

تشكيل المجلس

وتنص المادة ١١٢ من الدستور الإيراني على أن تشكيل مجلس تشخيص مصلحة النظام يتم بأمر من القائد الأعلى للجمهورية الإسلامية (المرشد)، فيما ويتكون المجلس الذي تتبعه لجان خاصة تعمل في مجال السياسة والأمن والثقافة والاقتصاد وغيرها من ٣١ عضوا يمثلون مختلف التيارات السياسية الإيرانية، ويقوم المرشد بتعيين غالب أعضاء المجلس الدائمين والمتغيرين من ذوي الخبرة والرأي وعلماء الدين، ما عدا رؤساء السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية فإنهم ينضمون إلى المجلس بشكل آلي بعد التعديل الجديد الخاص بقانون المجلس، إضافة إلى فقهاء مجلس الرقابة على القوانين، كذلك يلتحق به رئيس اللجنة المختصة من مجلس الشورى الإسلامي بشكل غير دائم لبحث المسائل المعروضة، وهو ما يسري أيضا على بعض الوزراء الذين تتعلق بعض القضايا الذي يناقشها المجلس بصلاحياتهم.

قرارات منحازة

ومنذ ١٨ مارس ١٩٩٧ يترأس المجلس رئيس الجمهورية السابق هاشمي رفسنجاني، ونظرا لأن غالبية أعضائه يتم تعيينهم من قبل المرشد الأعلى فكثيرا ما يميل المجلس لدعم مواقفه، ما دفع البعض للقول إنه يمثل أداة سيطرة أخرى في يد الزعيم. وقد اعتاد أعضاء المجلس حسم القرارات لصالح مجلس صيانة الدستور المحافظ على حساب البرلمان، فعلى سبيل المثال فمنذ الانتخابات البرلمانية في عام ٢٠٠٠، فإن مجلس تشخيص مصلحة النظام تدخل ١٢ مرة لفض الصراع بين المؤسستين ولم يقف فيها إلى جانب البرلمان سوى مرة واحدة.

رفسنجاني وخامنئي

ويرى الكثيرون أن رفسنجاني رئيس المجلس من المقربين بشدة للمرشد الأعلى علي خامنئي، لذلك ظل المجلس يعكس دائما رأي المرشد، وقد ترسخت تلك الانطباعات في عام ٢٠٠٥ بعد خسارة رفسنجاني في الانتخابات الرئاسية لصالح محمود أحمدي نجاد حيث قام المرشد بمنح المجلس حق مراقبة كافة مؤسسات الحكم في إيران. هناك من يقول إن هذه الخطوة جاءت كمكافأة لرفسنجاني ولتعويضه عن قيام المرشد بدعم نجاد قبل أيام معدودة من الانتخابات.

الحكم والخصم

وينظر الإصلاحيون لمجلس تشخيص مصلحة النظام على أنه الحكم والخصم في آن واحد، حيث يشكل مع مجلس صيانة الدستور هيئتين تعرقلان نشاط البرلمان، وذلك انطلاقا من سيطرة المحافظين عليهما.

ويضم المجلس عددا من الأعضاء المعروفين أمثال المتشدد آية الله أحمد جنتي رئيس مجلس صيانة الدستور، وعلي أكبر ولايتي مستشار المرشد للشؤون الدولية، ومحمد رضا عارف الإصلاحي الذي انسحب من الانتخابات الرئاسية الأخيرة في ١٤ يونيو ٢٠١٣ لمصلحة الرئيس الحالي حسن روحاني.

الكراسي الموسيقية

ونظرا لأن السياسة في إيران كلعبة الكراسي الموسيقية فقد قام المرشد الأعلى علي خامنئي بتعيين الرئيس السابق أحمدي نجاد عضواً في مجلس تشخيص مصلحة النظام، وذلك بعد يومين فقط من تولي روحاني المعتدل مهام منصبه. جاءت هذه الخطوة بعدما خسر نجاد صراعاً مفتوحاً على السلطة مع خامنئي في السنتين الأخيرتين من رئاسته.

الوجه الآخر
٦- موسى الصدر

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة إلتبست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر موسى الصدر شخصية غامضة بامتياز، إن كان لجهة انتقاله من إيران إلى لبنان في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، وحصوله على جنسيتها، أو لجهة الدور الذي مارسه في لبنان، وقد استمر هذا الغموض حتى وفاته / اختفائه في ليبيا سنة ١٩٧٨م.

ولأن الصدر كان قد تقلد رئاسة المجلس الشيعي الأعلى في لبنان (أي زعامة الطائفة الشيعية هناك)، فإن الاهتمام بشخصيته كان منصبّا على حراكه العام، ونشاطه الاجتماعي والسياسي، وتصريحاته الصحفية، وفيها الكثير من التأييد للمقاومة الفلسطينية، والتقريب بين السنة والشيعة، ما أدى إلى إغفال جوانب أخرى من مسيرته، كرأيه في التراث الشيعي، ومدى التزامه الديني، ونظرته إلى السنة، وسعيه إلى نشر التشيع، وغير ذلك، وهو ما نحاول الاقتراب منه أكثر في هذه الحلقة.

أولا: نشأته وحياته

وُلد موسى صدر الدين إسماعيل الصدر في مدينة قُم الإيرانية في سنة ١٩٢٨م، وتخرج من كلية الحقوق بجامعة طهران، فرع العلوم الاقتصادية. وبحكم انتمائه إلى أسرة دينية، فإنه درس شيئا من علوم الشيعة في حوزتي قُم والنجف. وهو ينحدر من أصل لبناني، حيث يقول موسى الصدر إن جد أبيه، صدر الدين، الذي تسمّت عائلة الصدر باسمه، هاجر مع أبيه صالح من لبنان قبل حوالي ٢٠٠ سنة، وسكن في العراق وأسس عائلة، ثم هاجر بعض أحفاده إلى إيران، وأسسوا هناك عائلات[1].



(*) كاتب أردني.

(١) حوارات صحفية ١، (تأسيسا لمجتمع مقاوم)، إصدار: مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ص ٥٢، ومواضع أخرى.

أمـا قدومـه إلى لبنـان واسـتقراره فيـه أواخـر سـنة ١٩٥٩م، فكـان بطلـب مـن أسـرة المرجـع الـشيعي اللبنـاني عبـد الحـسين شـرف الـدين، الـذي تـوفي في أواخـر سـنة ١٩٥٧، ونـصّ - قبـل موتـه – علـى موسـى الـصدر لخلافتـه، حيـث بـارك ذلـك الطلـب المرجـع الـشيعي الإيرانـي حـسين البروجـردي، المرجـع العـام للـشيعة آنـذاك، وطلـب مـن الـصدر تلبيـة الدعوة[1].

وكـان الـصدر قبـل اسـتقراره في مدينـة صـور في لبنـان قـد زارهـا ليـستطلع الأوضـاع، فوجـد الـشيعة هنـاك «بحاجـة لقائـد، وأن عنـده قـدرة علـى هـذه المهمـة»[2]. وحـصل الـصدر علـى الجنـسية اللبنانيـة، بقـرار مـن رئـيس الجمهوريـة – آنـذاك – فـؤاد شـهاب، وهـو أمـر نـادر الحـدوث بـأن تُمـنح الجنـسية لـشخص غير مسيحي.

أثـار قـدوم الـصدر إلى لبنـان، وصـعوده الـسريع، وترؤسـه لطائفتـه الكـثير مـن الـشكوك والتـوجس، ويؤكـد البـاحثون والمطلعـون أن موسـى الـصدر جـاء إلى لبنـان بمباركـةٍ مـن شـاه إيـران – آنـذاك – محمـد رضـا بهلـوي؛ الـذي كانـت لـه أحـلام توسـعية كـبيرة بإنـشاء إمبراطوريـة تـضم إيـران والعـراق والخلـيج ولبنـان، وقـد كلـف موسـى الـصدر بتنفيـذ مـا يتعلـق بلبنـان، ووعـده الـشاه بخمـسمائة ألـف دولار مقابـل تلك المهمـة، كمـا كـشف ذلـك شـهبور بختيـار، الـذي سـلّمه الـشاه الـسلطة في إيـران عنـدما غادرهـا إلى المنفى[3].

وإضـافة إلى حملـة بإنـشاء إمبراطوريـة في المنطقـة؛ فـإن شـاه إيـران كـان منزعجـاً مـن التغلغـل اليـساري والـشيوعي في صـفوف الـشيعة في لبنـان والعـراق، وفي بـلاده إيـران، وفي غيرهـا مـن الـدول، فقـد كـان العـداء بـين الـشاه والـشيوعية كـبيراً، لـذلك دعـم «الـصدريْن» محمـد بـاقر (في العـراق)، وموسـى (في لبنـان) لمحاربـة الـشيوعية، والعمـل علـى إخـراج الـشيعة من الأحزاب اليسارية في هذين البلدين[4].

ولـذلك كـان الـصدر مـثلاً يتجنب انتقـاد الـشاه، ويتهـرب مـن الأسـئلة الـتي تُطـرح عليـه أحيانـا حـول الأطمـاع الإيرانيـة في الخلـيج العربـي، كمـا في مقابلـة أجرتهـا معـه صـحيفة الـسياسة الكويتيـة في ١٩٧٣/٣/١٣م، وبـدلا مـن ذلـك تحـدث عـن ضـرورة البنـاء الفكـري لأبنـاء الخلـيج لـصيانة ثروتـه ومنجزاته وحضارته[5].

ثـم شـيئا فـشيئا صـار موسـى الـصدر يوجـه الانتقـادات إلى المخـابرات الإيرانيـة، ويتهمهـا بتـشويه مواقفـه وصـورته، ويتحـدث عـن تأثيرهـا علـى مختلـف الأجهـزة الرسميـة في إيـران[6]، كمـا أخـذ الـصدر يكيـل المـديح لرجـال الـدين الإيـرانيين المعارضـين لحكـم الـشاه، ومـنهم الخمـيني، حيـث يقـول: «إنهـم يحـاربون قـدر الإمكـان تجـاوز الحكـام وطغيـانهم واسـتبدادهم، ولهـم في الـشعب نفـوذ كـبير. وفي الفـترة الأخـيرة خـاض أكثـر علمـاء الـدين في إيـران، وفي طليعـتهم الإمـام الخمـيني، معـارك عنيفـة مـن أجـل تـصحيح الاتجـاه الـسياسي والاجتمـاعي في إيـران، وقـد دخـل العديـد مـنهم الـسجون، كمـا أن الـسيد

(١) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، أسامة شحاده وهيثم الكسواني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ٣٥.
(٢) الإمام السيد موسى الصدر محطات تاريخية: إيران، النجف، لبنان، حسين شرف الدين، إصدار: مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص ٥٨.
(٣) حقيقة المقاومة: قراءة في أوراق الحركة السياسية الشيعية في لبنان، عبد المنعم شفيق، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ص ٧٦.
(٤) المشكلة الشيعية، أسامة شحادة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م، ص ٣٠٣، نقلا عن الكاتب الفرنسي أوليفيه روا في كتابه (تجربة الإسلام السياسي). ويُذكر أن الصدر كان يعتبر ميل الشباب اللبناني إلى اليسار هو تعبير عن الاحتجاج على الأوضاع الحالية، لا عن عقيدة منحرفة أو عن عُقد. (انظر: حوارات صحفية ١، ص ٣٠١).
(٥) حوارات صحفية ١، ص ٢٦٩.
(٦) المصدر السابق، ص ٣٩٤.

الخميني مُبعد الآن ويعيش في العراق..»[1].

ويبدو أن ازدياد المعارضة لنظام الشاه، والضعف الذي بدا عليه، ورغبة الصدر – بحكم طموحه الكبير- في أن يتبوأ مكانة في النظام الإيراني الجديد بعد الشاه هي التي سببت هذه الانعطافة في موقفه، وأن يثني على الخميني ومعارضته.

وبالعودة إلى لبنان، فقد مكث الصدر هناك يوصل الليل بالنهار لإيجاد كيان للشيعة، ويعمل على تحسين أوضاعهم، واستطاع أن يقيم لهم عددا من المؤسسات والمنظمات التي لا تزال فاعلة إلى اليوم، وأهمها:

١- المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، الذي أصبح يمثل المرجعية الدينية والسياسية لشيعة لبنان منذ سنة ١٩٦٧م.

٢- أفواج المقاومة اللبنانية، التي تعرف اختصارا بحركة أمل، وهي ميليشيا مسلحة أسسها الصدر سنة ١٩٧٥م، وأبقى أمرها سريا في البداية، وهذه الحركة شنت حربا على المخيمات الفلسطينية في لبنان في سنة ١٩٨٥م، في عهد رئيسها نبيه بري، الذي ما يزال رئيسا للحركة إلى الآن[2].

أما نهاية الصدر، فكانت غامضة ملتبسة مثل ما كانت بدايته في لبنان، ففي سنة ١٩٧٨، تلقى الصدر دعوة لزيارة الجماهيرية الليبية للقاء رئيسها معمر القذافي لبحث موضوع الحرب الأهلية في لبنان، حيث سافر الصدر إلى ليبيا برفقة الشيخ محمد يعقوب والصحفي عباس بدر الدين، لكن أثره اختفى هناك، ولم يعد، وادّعت ليبيا أن الصدر ومرافقيه غادروا ليبيا متوجهين إلى إيطاليا، الأمر الذي نفته إيطاليا، ورفضه شيعة لبنان، ورغم سقوط نظام القذافي إلا أن الغموض ما زال يهيمن على ملف اختفاء الصدر إلى الآن.

ثانيا: نظرته إلى التراث الشيعي

وقف الصدر غير مرّة مدافعا عن عقائد الشيعة، دون أن يبذل جهدا يذكر لتنقية التشيع مما فيه من انحراف وغلو، بل ومحملا أهل السنة في بعض الأحيان وزر مخالفتهم لعقائد الشيعة، ومن ذلك على سبيل المثال:

أ- اعتقاده في الإمامة:

يرى الصدر أن مسألة الإمامة أو الولاية هي أهم الأحكام الشرعية، وهي ليست مسألة تاريخية، بل مسألة كل مجتمع وكل زمان[3]. وفي تفسيره للإمامة يقول: «الإمامة تعني عند الشيعي مفهوما عقائديا واضحا هو الولاية. والولاية تعني عندهم مفهوم الحكومة الحقة التي تسيّر أمور البلاد والعباد ... والإمامة أصل من أصول المذهب عندهم كما بيّنا من قبل»[4].

كما يرى الصدر، كما هو شأن الشيعة، أن الخلافة بعد النبي ﷺ كانت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، دون غيره، بالنصّ عليه من الرسول ﷺ، بينما لم يلتزم أهل السنة بذلك[5]. ويرى كذلك أن الشيعة ينطلقون – في قضية الإمامة- من أنه من الضروري أن يوجد نص من الرسول ﷺ، وأمر من الله تعالى بشأن من يتولى شؤون الأمة[6].

ولأن الصدر تواجد في مجتمع متعدد الأديان والمذاهب والطوائف، فإنه وجد صعوبة – على ما يبدو- في الاستمرار في الدفاع عن الإمامة والولاية، لذلك صدر عنه في سنواته الأخيرة ما يفيد

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٦.
(٢) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، ص ٥٠ - ٥٣.
(٣) حوارات صحفية ١، ص ٤٧.
(٤) المصدر السابق، ص ١٨٨.
(٥) المصدر السابق، ص ٢٣٩.
(٦) المصدر السابق، ص ١٩٠.

بأنه ليس من الضروري الآن أن يكون الحاكم من الأئمة، وبأنه لا يوجد دليل شرعي يقيّدنا بشكل معين من أشكال الحكم، وبأننا يجب أن نكون مرنين في اختيار الشكل، وأن مشكلة الخلافة بعد الرسول ﷺ أصبحت قضية نظرية يمكن الاحتفاظ بها في المجال الفكري[1].

ب- دفاعه عن زواج المتعة:

يدافع الصدر عن زواج المتعة، ويصوّره بصورة مثالية جميلة غير تلك التي يمارسها الشيعة، ويدعي أنه «زواج له نفس القوانين والأنظمة، التي تراعى في الزواج الدائم، كالعقد والعدة وإلحاق الطفل والميراث بالنسبة للزوجين إن اشترطا ذلك. طبعا الطفل يرث بلا قيد ولا شرط»[2]. ويقول إن زواج المتعة لا يعني الاتفاق على ممارسة العمل الجنسي! بل يعني الاتفاق على الزواج، ولكن لمدة محددة .. «وهو على هذا الأساس يمكن أن يحل مشكلة الخطوبة، ولعله في المستقبل يصبح هو الزواج المفضل لدى الناس.. زواج المتعة يمكن أن يكون معجزة هذا العصر»[3].

ثالثا: سعيه لنشر التشيع

عمل موسى الصدر خلال مسيرته على نشر التشيع، في صفوف أهل السنة، وفي صفوف العلويين على حد سواء، ففيما يتعلق بالسنة حاول الصدر أن يكون ذلك من بوابة الأزهر، الذي كان يتردد عليه للمشاركة في مؤتمرات التقريب بين السنة والشيعة، أو لحضور اجتماعات مجمع البحوث الإسلامية، وتحت مسمى تدريس المذهب الجعفري، مستغلا وجود الشيخ محمود شلتوت على رأس الأزهر، وهو صاحب الفتوى الشهيرة باعتبار مذهب الشيعة الإثنى عشرية مذهبا كالمذاهب السنية الأربعة يجوز التعبد به.

والصدر تحدث عن ذلك السعي، فقال: «لقد اجتمعت بشيخ الأزهر الشيخ شلتوت، وبالأستاذ محمد المدني وبغيرهما من الطليعة وتباحثت وإياهم حول الشؤون الإسلامية وتدريس مذهب الإمام الصادق إلى جانب المذاهب الأربعة وقد لقيت منهما إدراكا بعيد المدى للعمل على وحدة الكلمة ووحدة الصف، ووحدة الشعور»[4].

كما عمل الصدر على تشييع السنة من خلال المؤسسات الإيرانية، وهو أفصح عن ذلك في قوله: «لقد رأيتُ في (قُم) مؤسسة جديدة عنوانها (دار التبليغ الإسلامي) مهمتها تهيئة نهضة جديدة تقوم على أسس من الفن الديني والتربوي بما يتفق وروح العصر. وقد اتفقتُ مع مؤسسها سماحة آية اللّه شريعتمداري على تخصيص جناح فيها للطلاب الأفريقيين بمعاونة المهاجرين اللبنانيين في تلك الديار»[5].

أما فيما يتعلق بتشييع النصيريين العلويين، فقد كان ذلك من خلال رأس النظام السوري، الذي ينتمي إلى الطائفة العلوية النصيرية، حيث وجد الطرفان في ذلك مصلحة مشتركة، فالصدر وغيره من الشيعة كسبوا أفرادا جددا إلى طائفتهم تحت مسمى إعادة الفرع إلى الأصل، أي إعادة العلويين إلى أصلهم الشيعي، والرئيس السوري – آنذاك- حافظ الأسد سعى للحصول على فتاوى من شيوخ الشيعة في لبنان وإيران لاعتبار العلويين طائفة من الشيعة لوجود مادة في الدستور السوري –حاول الأسد حذفها لكنه لم يفلح- تنص على أن دين رئيس الدولة الإسلام، حيث أن أهل السنة والشيعة

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٢، ٣٦٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٦٦.
(٣) المصدر السابق، ص ٣٦٦.
(٤) المصدر السابق، ص ٢٥.
(٥) المصدر السابق، ٢٧.

الإثنى عشرية لا يَعتبرون العلويين الذين ينتمي إليهم الأسد مسلمين، وسرعان ما «لجأ الأسد إلى صديقه الزعيم الشيعي الإمام موسى الصدر، فأصدر له في تموز/ يوليو ١٩٧٣، فتوى تقول بأن العلويين مسلمون، وهم طائفة من الشيعة»[١].

رابعا: نظرته إلى السنة

يرى الصدر أن الشيعة جميعا يتعبدون وفق مذهب أهل البيت، أما أهل السنة فموزعون على أربعة مذاهب على الأقل[٢]. ولا شك أن حديث الصدر يحوي مغالطة واضحة فهو يصور مذهبه بأنه مذهب متوحد يستقي تعليماته من أهل البيت، بينما السنة متفرقون إلى مذاهب عديدة، وقد مرّ بنا قبل قليل انتقاد الصدر لأهل السنة، لأنهم - بزعمه- لم يلتزموا بوصية الرسول ﷺ بتولية علي من بعده.

ويعتبر الصدر أن أخذ السنة بأقوال الصحابة يعتبر قصرا للمعرفة على صدر الإسلام، في حين يعتبر الفقه الشيعي والينابيع الشيعية أكثر غنى لأن الأئمة عاشوا التطورات التي وقعت في القرنين الأول والثاني الهجريين وبداية القرن الثالث[٣].

خامسا: التزامه الديني

على الرغم من أن موسى الصدر من رجال الدين ويلقب بـ «الإمام» إلاّ أن بعض سلوكياته كانت بعيدة عن التدين، مثل تدخينه للسجائر والنرجيلة، وتقديمها إلى ضيوفه وجلسائه، إضافة إلى دفاعه عن زراعة التبغ في جنوب لبنان، حيث يتركز الشيعة، وضرورة إيلاء الدولة اهتمامها للمزارعين من خلال رفع أسعار التبغ وتأسيس شركة مساهمة، وتوفير المياه وتحسين نوعية البذور، وغير ذلك، مع الإشارة إلى رغبته بإحلال زراعة الشاي محل التبغ فيما بعد[٤].

والحقيقة إن ما أوردناه أعلاه يبدو أمرا بسيطا إزاء ما ذكره لي أحد كبار الصحفيين الفلسطينيين قبل عدة سنوات، إذ يقول هذا الصحفي والكاتب الذي كان مقيما في بيروت، بأن القيادي في حركة (فتح) الفلسطينية هاني الحسن والذي كان على علاقة وثيقة بالصدر، أخبره بأن الصدر خلال اعتكافه الشهير وصيامه في مسجد الصفا بمنطقة العاملية في شهر يونيو/ حزيران ١٩٧٥، احتجاجا على الحرب في لبنان، كان يطلب منه أن يحضر له الطعام والشراب والويسكي! لأنه غير صائم كما هو مُعلن، وكان الصدر يقول للحسن: يا هاني لا تنساني!!

عمر بن الخطاب يحاور اليهود

د. عمر الأشقر رحمه الله[*] - خاص بـ «الراصد»

كان عمر بن الخطاب سريع البديهة قوي الحجة، وكان من أمره في بداية الهجرة أنه كان يشهد اليهود في يوم مدراسهم[٥]، فيعجب من التوراة كيف تصدق القرآن، ومن القرآن كيف يصدق التوراة.

وبينما هو عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب ما مِن أصحابك أحد أحبّ إلينا منك، قال: ولِمَ؟ قالوا: لأنّك تغشانا وتأتينا.

فبين لهم سبب مجيئه لهم، فلم يكن يأتيهم حباً فيهم، وإنما لفت نظره ذلك التوافق بين التوراة

(١) البعث الشيعي في سورية (١٩١٩ - ٢٠٠٧)، المعهد الدولي للدراسات السورية، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) حوارات صحفية، ص ٢٣٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٦٤.

(٤) المصدر السابق، ص ١٥٤، ٢٧٣، ٢٨٦، ٣٦٩، ٤٠٤، ٤٧٠، ٥٣٣، ٥٨٠، ٥٨١.

(*) كاتب أردني.

(٥) ابن جرير الطبري وغيره، انظر تفسير ابن كثير: (٢٢٩/١).

والقـرآن، (إنـي آتـيكم فأعجـب مـن القـرآن كيـف يـصدق التـوراة، ومـن التـوراة كيـف تـصدق القـرآن). قـالوا: ومـرّ رسـول الله ﷺ، فقـالوا: يـا ابـن الخطـاب، ذاك صـاحبك فـالْحق بـه، قـال: فقلـت لهـم عنـد ذلـك: نـشدتكم بـالله الـذي لا إلـه إلا هـو، ومـا اسـترعاكم مـن حقـه، ومـا اسـتودعكم مـن كتابـه، هـل تعلمـون أنه رسول الله؟

لقـد كـان قَـسماً عظيمـاً أوقعهـم في حـرج كـبير، ولقـد أذهلـهم القـسم وأسـكتهم ولم يتجـرأ واحـد مـنهم علـى الإنكـار والمكـابرة، ذلـك أنهـم كـانوا يعرفـون أن محمـداً مرسـل مـن ربهـم كمـا يعرفـون أبنـاءهم، ولكـنّهم كـانوا يـستكبرون، فمـا كـان مـن عـالِمهم وكـبيرهم إلا أن قـال: إنـه قـد غلـظ علـيكم فـأجيبوه. قـالوا: فأنـت عالمنـا وكبيرنـا فأجبـه أنت.

قـال: أمّـا إذا نـشدتنا بمـا نـشدتنا، فإنّـا نعلـم إنــه رســول الله. لقــد صــدقوا في الإجابــة، ومــا دام الأمــر كــذلك، فمقتــضى هــذا العلــم وتلــك المعرفــة الاتباع وإلا فإنه الهلاك.

وقـد واجههـم عمـر بـذلك فقـال: ويحكـم إذا هلكـتم. ولكـنّ النفـوس المعوجـة المريـضة لا تعـدم أن تجـد إجابـة تـبرر بهـا ضـلالها وخطأهـا، قـالوا: إنـا لم نهلـك، قلـت: كيـف ذلـك، وأنـتم تعلمـون أنـه رسـول الله، ولا تتبعونه ولا تصدقونه؟

قـالوا: إن لنـا عـدواً مـن الملائكـة وسـلماً مـن الملائكـة، وإنـه قـرن بنبوتـه عـدونا مـن الملائكـة، قـال عمـر: ومـن عـدوكم، ومـن سـلمكم؟ قـالوا: عدونا جبريل، وسلمنا ميكائيل.

أي وربـي إنهـا لخرافـة جـاءت بهـا يهـود تريـد أن تغـشى بهـا علـى أبـصار مـن ضـعف بـصره وبـصيرته، ولكـن هـل تجـوز هـذه الفريـة علـى ذوي البـصائر والأبـصار أمثـال عمـر بـن الخطـاب الـذي أوتـي علمـاً وفهمـاً وحجـة وبيانـاً؟ لا والله، قـالوا: إن جبرائيـل ملـك الفظاظـة والغلظـة والإعـسار والتـشديد والعـذاب ونحـو هـذا، وإن ميكـائيـل ملـك الرحمـة والرأفـة والتخفيـف ونحـو هـذا، قـال: قلـت: ومـا منزلتهمـا مـن ربهمـا عـزّ وجـل؟ قـالوا: أحـدهما عـن يمينـه، والآخـر عـن يـساره، قـال عمـر: قلـت: فوالـذي لا إلـه إلا هـو إنهمـا والـذي بينهمـا لعـدو لمـن عاداهمـا، وسـلم لمـن سـالمهما، ومـا ينبغـي لجبريـل أن يـسالم عـدوّ ميكـائيـل، ومـا ينبغـي لميكـائيـل أن يـسالم عـدو جبرائيل.

أرأيت الحجة التي جاءت على البديهة تسكت الخصم وتكشف عوار حجته، وتفضح كيده ومكره، جبرائيل وميكائيل ملكان مطيعان لربّهما لا يخالفان أمره، ولا يختلفان فيما بينهما، يعاديان أعداء الله، ويواليان أولياءه، وعدو جبريل هو عدوّ ميكائيل، وعدوّ ميكائيل عدوّ لجبريل، فالذي يريد تقسيم الملائكة كما يقسم ملوك الأرض فقد ضلّ وغوى، ونزل القرآن يصدق ابن الخطاب ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٧- ٩٨].



الراصد – العدد ١٣٢–رجب ١٤٣٥هـ

استضعاف المستضعفين:
إيران والانقلابات العسكرية في إفريقيا

بوزيدي يحيى(*)– خاص بالراصد

رفع الخميني عقب نجاح الثورة في إسقاط نظام الشاه مبدأي حماية المستضعفين ومواجهة الاستكبار العالمي اللذين أصبحا من أهم مبادئ السياسة الخارجية الإيرانية، وأكسبا الجمهورية الإسلامية الكثير من الشعبية في الأوساط العربية، حتى جاءت الثورة السورية ليصطدم الرأي العام العربي بموقف إيراني غير مسبوق في دعم نظام مجرم ومستبد، وتسخير كل الطاقات للدفاع عنه، والمشاركة في العمليات العسكرية ضد الشعب السوري، بل دفع بوكيله حزب الله اللبناني ضد الثورة السورية، حتى ذهل الكثيرون من مواقف حزب الله ومفاخرته بجرائمه بحق الشعب السوري، وتقديمها كانتصارات على الصهاينة، في حين أن الدماء التي سالت ولا زالت دماءٌ سورية لم تكن فيها أي قطرة إسرائيلية رغم «التحرشات» المبررة في القانوني الدولي للرد عليها، وهو ما لم يحصل بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات.

والإشكالية في هذه المبادئ الخمينية المثالية أنها تنطلق من خلفية دينية تتمحور حولها العقيدة الشيعية، فحماية المستضعفين رسالة حسينية عند الشيعة، ومرتبطة في مخيالهم بمظلوميته، مما يجعل الخروج عن هذه المبادئ لا يبرر إلا بالنفاق والمتاجرة بالدين، خاصة وأن من يقف على رأس النظام المرشد الأعلى علي خامنئي، وهو مرجع ديني في مستوى آية الله العظمى. وإذا ما استثنينا الحالة السورية وسلمنا جدلا بأنها مؤامرة كونية كما يبرر عملاء إيران في المنطقة فإلى أي مدى التزمت طهران بهذه المبادئ في مناطق أخرى؟

الانقلابات العسكرية والمستضعفون:

تبرر أي حركة تغيير للنظم السياسية بأنّها محاولة لتخليص الشعب من نظام مستبد وفاسد أضاع حقوق المواطنين وجعلهم يعيشون الفقر المدقع، ولا تخلو من اتهامات له بتسليم مقدرات البلد وثرواته للقوى الأجنبية، وفي المقابل تعِد بغد مشرق وزاهر يسود فيه العدل والرخاء والحرية، تسخر فيه كل طاقات الدولة لمشروع تنموي رائد.

وإن كانت الحركات الاحتجاجية الشعبية والثورات التي تنطلق من الأسفل إلى الأعلى تعبر عن هذه الحقيقة فإن المحاولات التي تكون من الاتجاه المعاكس ممثلة بشكل خاص في الانقلابات العسكرية، وإن لم تكن مخطئة في التوصيف أعلاه إلا أنه في الغالب الأعم يكون مجرد تبرير لصراعات بين النخب الحاكمة سرعان ما يقوم المنتصر فيها بممارسات أفظع وأشنع، ويتشبث بالسلطة أكثر ممن سبقه، حتى وإن زينها ببعض المساحيق القانونية التي لا تخطئ العين أنها مجرد غطاء لنظام ديكتاتوري مستبد.

(*) كاتب جزائري.

وتعد القارة الإفريقية من أكثر المناطق التي تموج دولها بالانقلابات العسكرية، إذ لم تنعم جلها بحالات استقرار سياسي متوسطة المدى وتداول سلمي على السلطة منذ استقلالها عن القوى الاستعمارية. حتى أضحت ظاهرة الانقلابات خاصية مميزة للقارة، وبحسب بعض التقديرات فقد شهدت إفريقيا في الخمسين سنة الماضية ما لا يقل عن ثمانين عملية انقلابية معظمها في دول غير عربية، واستهدف بعضها نظما منتخبة ديمقراطيا[1].

هذه الاضطرابات السياسية تؤثر بشكل كبير على السياسات الخارجية للقوى الإقليمية والدولية تجاهها، في ظل تضارب المصالح وارتباط القوى السياسية الحاكمة بأطراف خارجية تدعمها، وبحث القوى المعارضة عن أطراف أخرى خاصة في حالة الانقلاب العسكري، وهذا ما تشهده الكثير من الدول، ومن بينها إيران، التي سنحاول أن نقدم نماذج عن طريقة تعاطيها مع الانقلابات العسكرية في إفريقيا ومدى تناقضها مع مبدأ حماية المستضعفين الذي ترفعه في سياستها الخارجية.

الدفاع عن المستضعفين الأفارقة في السياسة الخارجية الإيرانية حاليا:

لا تغيب مبادئ حماية المستضعفين ومواجهة الاستكبار العالمي عن الخطاب الإيراني الحالي تجاه إفريقيا، إذ كانت في واجهة أسباب انفتاحها عليها، حيث ارتكز الانفتاح الإيراني على القارة الإفريقية على مواجهة الاستعمار العالمي وتشكيل ما يسمى بجبهة معادية للاستعمار الموازية للقوى الغربية التي تنهب ثروات القارة، كان رفعها الرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد خلال عهدتيه الرئاسيتين.

كما أكد المرشد الأعلى علي خامنئي، أن إيران ترحب بتطور وتنمية الدول الإفريقية واتحادها. وأشار إلى الممارسات العدائية لبعض الدول الأوروبية وكذلك أمريكا في استعمار الدول الإفريقية وإثارة الفتن والمؤامرات في هذه الدول، معربا عن أمله بأن تشهد القارة الإفريقية مستقبلا أفضل بكثير مصحوبا بمزيد من التطور يوما بعد آخر[2].

وإزاء القضايا الحالية على سبيل المثال لا الحصر اعتبر السفير الإيراني في إسبانيا مرتضى صفاري نطنزي أن التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ناجمة عن تبعية الأنظمة الديكتاتورية للغرب وإذلال الشعوب في المنطقة[3].

واعتبرت طهران أن التدخل الفرنسي في إفريقيا الوسطى بعد الانقلاب الأخير وما أعقبه من عنف هو استغلال لحالة الفوضى كذريعة لادعاء ملاحقة عناصر تنظيم القاعدة، وذلك بعد تدخلها في مالي وليبيا. وأن الأمر ليس جديدا على تاريخ فرنسا الاستعماري المليء بالدموية والوحشية، خاصة بعد سقوط أبرز حلفائها بالمنطقة زين العابدين بن علي، وهو الأمر الذي دفعها إلى التصيد من أجل إرضاء طموحات الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند الاستعمارية، للنهوض بالاقتصاد الفرنسي على حساب دم ونهب ثروات الشعوب الأفريقية[4].

كما صرح قبلها المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية رامين مهمان باراست أن إيران تدعم جهود الاتحاد الإفريقي لاستعادة «السلام والأمن» في مالي عقب الانقلاب العسكري وقال إن الجمهورية الإسلامية «تدعم دائما وحدة، وسلام، واستقرار،

---

(١) إفريقيا تاريخ حافل بالانقلابات، الجزيرة نت، ٢٠١٢/٠٤/١٦، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/pages/f476eff5-b0fd-4536-94c2-64c45a72cb24?GoogleStatID=9

(٢) قائد الثورة الإسلامية: إيران ترحب بتطور وتنمية الدول الإفريقية واتحادها، قناة العالم، ٢٠١٣/٠٤/١٠، على الرابط:
http://www.alalam.ir/news/1462983

(٣) تبعية الأنظمة الديكتاتورية للغرب وراء تطورات المنطقة، قناة العالم، ٢٠١١/٠٨/٠٨، على الرابط:
http://www.alalam.ir/news/654531

(٤) فرنسا تبدأ حملة عسكرية لإنهاء «فوضى الانقلاب» في أفريقيا الوسطى .. وصحيفة إيرانية: سياسة هولاند تحلم بالعودة إلى الماضي، موقع الوادي الإخباري، ٢٠١٣/١٢/٠٧، على الرابط:
http://elwadynews.com/world-news/2013/12/07/4497

وســـلامة أراضـــي مـــالي، وتحـــترم حقـــوق الـــشعب والديمقراطيـــة في الـــبلاد» .وأن أي إخـــلال بـــالأمن في إفريقيـــا ســـيلحق الـــضرر بالـــشعب الإفريقـــي، وتـــستغله القـــوى الخارجيـــة، وأضـــاف أنـــه يـــتعين علـــى الـــشعوب الإفريقيـــة حـــل خلافاتهـــا الداخليـــة مـــن خـــلال المفاوضات والمحادثات السلمية»[1].

ولكـــن الموقـــف لم يخـــرج عـــن مـــستوى التنديـــد والتـشهير الإعلامـي لممارسـات القـوى الدوليـة للتغطيـة عـــن أعمالهـــا الـــتي لا تختلـــف عنهـــا لا مـــن حيـــث الأســـاليب ولا مـــن حيـــث الأســـباب، وإن كـــان حجـــم التـــدخل العـــسكري الإيرانـــي أقـــل بكـــثير مقارنـــة بـــالقوى الغربيـــة واعتمـــاده الأســـاليب غـــير المباشـــرة والمحلية في الكثير من الأحيان.

ردود الفعـــل الإيرانيـــة عـــن الانقلابـــات العسكرية في إفريقيا

اللافـت للانتبـاه في براغماتيـة الـسياسة الإيرانيـة أنهـا لا تراعـي الجانـب الإنـساني الـذي تدعيـه، وإنمـا كـل مـا يحـرك ويوجـه مواقفهـا مـن الأنظمـة الإفريقيـة هـو علاقـة الأخـيرة بالـدول الغربيـة، ومـا تتيحـه لهـا مـن فـرص اقتـصادية أو سياسـية لتـزاحم أو تـساوم بهـا القـوى الأخـرى ولـو علـى حـساب الـدماء الإفريقيـة، وأبـرز مـا يـدلل علـى هـذا موقفهـا مـن الانقلابـات العـــسكرية والأنظمـــة الديكتاتوريـــة، حيـــث لم يحـصل أي موقـف سياسـي إيرانـي أقـدمت فيـه طهـران علـى قطـع علاقاتهـا مـع بلـد إفريقـي حـصل فيـه انقــلاب عــسكري واعتبرتــه مــضرا بمــصالح ذلــك الـــشعب، وديكتاتوريـــة لا يمكـــن أن تـــسمح لهـــا مبادئهـا تجـاه المستـضعفين تجاهـل مـا يعانيـه هـؤلاء مـن ظلـم واضـطهاد بـسبب تلـك الانقلابـات، ورغـم إدراك حقيقـة الـويلات الـتي تعقـب الانقلابـات العـسكرية إلا أنهـا لم تتـوانَ عـن نـسج علاقـات متينـة وقويـة مـع الأنظمـة الناتجـة عنهـا خاصـة عنـدما ترفـع الأخـيرة شـعارات مواجهـة الغـرب ممـثلا في الولايـات المتحـدة وفرنسا تحديدا.

فـإثر الانقـلاب العـسكري في النيجـر (فبرايـر ٢٠١٠) وعلـى الـرغم مـن عـدم وضـوح تـأثيره علـى العلاقـات بـين النيجـر وإيـران، فـإن أحـد التقـارير ذكـر أن الدبلوماسـيين الإيـرانيين غـادروا عاصـمة النيجـر نيـامى عقـب استيلاء المجلـس العـسكري علـى الـسلطة مباشـرة، وبعـد خمسة أيـام ذكـرت الـصحافة التليفزيونيــة الإيرانيــة أن الــرئيس المخلــوع مامــادوا تانجـا أصـبح أقـل شـعبية لأنـه قـام بتغـيير الدسـتور للبقاء في السلطة[2].

وهـــذه كانـــت بدايـــة تحـــول إيرانـــي في تأييـــد الانقـلاب والتنكـر لعلاقاتهـا مـع نظـام مامـادوا تانجـا الـذي لم تكتـشف ديكتاتوريتـه وتراجـع شـعبيته إلا بعـد الانقـلاب بخمسة أيـام. بـل وهنـاك مـن يـذهب إلى أن الانقـلاب ورغـم أسـبابه الداخليـة البحتـة إلا أنـه لم يخـلُ مـن بعـد خـارجي تمثـل في العلاقـات الـتي نـسجها الـرئيس مـع المحـور الـصيني الإيرانـي علـى حـساب المحور الأوروبي الأمريكي[3].

ولعـــل هـــذا مـــا يفـــسر مغـــادرة الدبلوماســـيين الإيـرانيين النيجـر رغـم أن الانقـلاب وصـف بالأسـرع والأقـل عنفـا. وبعـد اسـتتباب الأوضـاع هنـاك وخـلال زيـارة نجـاد للـبلاد في أواخـر عهدتـه الثانيـة سـنة ٢٠١٣ كـان اليورانيـوم مـن أولويـات الـرئيس الإيرانـي ولـيس المستضعفين وأوضاعهم وحقوقهم.

كمـا أن توقيـت قـرار قطـع العلاقـات الجامبيـة مـع إيـران أثـار الكـثير مـن علامـات الاسـتفهام، حيـث جـاء عقـب ١٠ أيـام مـن محاولـة انقـلاب فاشـلة اتهـم الـرئيس الجـامبي يحيـى جـامع ضـباط الـشرطة الـذين تم اعتقـالهم في ٢٠١٠/١١/١١ بمحاولـة إقـصائه عـن رئاسـة جامبيـا وقلـب نظـام الحكـم فيهـا .وهـي الثانيـة

---

(١) إيران تدعم جهود الاتحاد الأفريقي لاستعادة السلام في مالي، صحيفة الشعب، ٢٠١٢/٠٣/٢٧، على الرابط:
http://arabic.people.com.cn/31663/7769808.html

(٢) أميرة محمد عبد الحليم، أحمدى نجاد في غرب أفريقيا، الأهرام الرقمي، ٢٠١١/٠٢/٠١، ، على الرابط:
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=485862&eid=122

(٣) سمير صا لحة، النيجر.. انقلاب بلا دماء، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٠/٠٣/٠٥، على الرابط:
http://www.aawsat.com/details.asp?section=45&article=559721&issueno=11420#.U1YeDlV5Ozw

التي يتورط فيها مسؤولون كبار في المؤسستين العسكرية والأمنية في جامبيا بعد إحباط المحاولة الانقلابية الأولى قبل أربعة أشهر ما يطرح المزيد من التساؤلات حول الدور الإيراني والانقلابات الأخيرة بجامبيا، في ضوء القرار الجامبي الذي جاء قويا وسريعا[1].

مع العلم أن العلاقات الجيدة بين البلدين والتي كانت متطورة جدا انتعشت في ظل نظام ديكتاتوري اعتلى فيه الرئيس السلطة بعد انقلاب عسكري، وبغضّ النظر عن صحة الاتهامات لإيران بالوقوف وراء محاولات الانقلاب العسكرية من عدمها فإن مما لا شك فيه أن شحنة الأسلحة المهربة التي كانت السبب المباشر لقطع العلاقات ضحاياها كانوا (لو تمت العملية) من المستضعفين بكل تأكيد الذين تدعي إيران دعمهم ومساندتهم.

وكما يقول الكاتب رضا عبد الودود، فإن الاستبداد السياسي والتضييق على القوى المعارضة في جامبيا طوال الثلاثين عاما الماضية لم يدفع إيران الثورة «الإسلامية» و«المبادئ» أن تقف ضد سياسات جامبيا أو تدفع نحو تحقيق التصالح بين الحاكم والشعب المقهور، ما يؤكد أن مصالحها فوق كافة الحقوق والشعارات التي ترفعها، ففي الوقت الذي شنت فيه طهران هجوما على قرار جامبيا قطع علاقاتها معها ووصفتها بأبشع الأوصاف من الخضوع والانصياع للأجندات الأمريكية والدولية، لم تتحرك لدعم حق الشعب الجامبي الذي يعاني الاستبداد المؤبد، إذ يؤكد المراقبون أن الرئيس الجامبي يحيى جامع الذي دخل عامه التاسع والعشرين في الرئاسة وكان ضابطا شرفيا برتبة ملازم في الجيش قبل تنفيذ انقلابه يسعى إلى تأبيد حكمه لمدى الحياة من خلال دعوته للاستفتاء على ذلك.

كما أنه بسبب معارضة الأحزاب والقوى السياسية لهذه الخطوة من جانب جامع بدأ نظامه في تضييق الخناق على أنشطتها بصورة تكاد تقترب من حظر نشاطها واتهام نشطائها له بالسعي إلى تقويض نظام حكم البلاد من الجمهوري إلى الملكي وهو ما بدأ التمهيد له بإصدار القيادات التقليدية والعرقية الموالية له مسمى ملك جامبيا عند مخاطبته[2]، مع العلم أن الدولتين كانتا قبل الأزمة تريان أنهما تعانيان من الاضطهاد الدولي، فإيران تعاني نتيجة لبرنامجها النووي، أما جامبيا فلها ملف من انتهاكات حقوق الإنسان[3].

الإسلاميون والانقلابات العسكرية: السودان والجزائر

وبالنسبة للدول الإفريقية العربية التي حصلت فيها انقلابات عسكرية نجد التناقض نفسه في مواقف إيران حتى بدخول عامل إضافي للمعادلة ممثل في الإسلاميين، وأبرز الأمثلة كان في الانقلابين اللذين شهدتهما الجزائر والسودان في نهاية ثمانينات وبداية تسعينات القرن الماضي، فبينما نددت بالانقلاب العسكري في الجزائر سنة ١٩٩١ بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الانتخابات واصفة إياه بالانقلاب العسكري ومعتبرة مواقفها رد فعل طبيعي بحكم التزامها بمبادئ حماية المستضعفين، كانت في وقت سابق أيدت انقلاب آخر قام به الفريق عمر البشير في السودان، ولم تلتفت لشرعيته من عدمها باعتباره انقلابا عسكريا أم ثورة، لتشهد علاقتها مع النظام وليد الانقلاب تطورا كبيرا، فإضافة للتعاون الاقتصادي ساهمت في بناء جهازه الأمني الذي تعزى إليه أغلب حالات القمع وممارسات العنف وانتهاكات حقوق الإنسان، فقد مكنت

(١) جامبيا.. مخطط انقلابي للإطاحة بالرئيس بمشاركة الاستخبارات، المصري اليوم، ٢٠١٠/١١/١٢، على الرابط:
http://www.almasryalyoum.com/news/details/95055

(٢) رضا عبد الودود، تداعيات قطع جامبيا علاقاتها مع إيران، موقع المسلم، ١٤٣١/١٢/٢٧ هـ، على الرابط:
http://almoslim.net/node/137784

(٣) أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق.

المساعدات الفنية والتدريبية والأسلحة التي قدمتها إيران، الحكومة السودانية من قمع العديد من الانتفاضات، كما حدث في الشمال بسبب ارتفاع معدلات التضخم (١٢٠٪) وما حدث في مقاطعة دارفور، ثم في جبال النوبة[١].

العامل الخارجي وفرص النفوذ: موريتانيا

سبق الموجة الثورية التي شهدتها دول شمال إفريقيا العربية عدة انقلابات في موريتانيا، ففي شهر أوت/ أغسطس ٢٠٠٨ وقع انقلاب عسكري، رفضت إيران في البداية تغيير السلطة ودعت إلى إعادتها إلى ممثلي الشعب الموريتاني ونددت بالانقلابات العسكرية، وربما يعود ذلك إلى الخطب الإيجابية التي ألقاها الرئيس السابق عبد اللّٰه ووزير الخارجية الموريتانية أحمد ولد سيد أحمد في أبريل ٢٠٠٧، والتي عبَّرا خلالها عن تقديرهما لجهود إيران في العراق ولبنان، ولكن بعدما عبّر المجلس العسكري عن معاداته لإسرائيل، وأكد استمرار الاستثمارات الإيرانية، وتجميد الحكومة الموريتانية علاقاتها مع الدولة اليهودية في يناير ٢٠٠٩، ردا على هجوم إسرائيل على غزة قبل شهرين من هذا التاريخ، وطرد السفير الإسرائيلي، تحسنت العلاقات بين الطرفين وعملت إيران على سد الفجوة التي خلفتها إسرائيل، بدعم بعض المشاريع التي كانت تمول من الحكومة الإسرائيلية واللجنة اليهودية الأمريكية.

وعندما زار قائد الانقلاب ولد عبد العزيز إيران في يناير ٢٠١٠ للاحتفال بافتتاح السفارة الموريتانية في طهران، أشاد كلٌّ من أحمدي نجاد، وعلي خامنئي بقطعه لعلاقات بلاده مع إسرائيل، كما أشاد أحمدي نجاد أيضا بالدعم الذي تقدمه موريتانيا لإيران على الساحة الدولية. ودعا خامنئي الموريتانيين إلى تجنب استضافة الوجود العسكري الأمريكي، في إشارة إلى البحث الذي تقوم به القيادة الأفريقية للولايات المتحدة عن قواعد لها في القارة[٢].

الثورات والانقلاب عليها: تونس ومصر

وبينما كانت علاقتها جيدة مع نظام زين العابدين بن علي ولم تراع ظلمه لشعبه ولا ديكتاتوريته ولا موالاته للغرب والاستكبار العالمي بل لم تلتفت حتى لقمعه للحركة الإسلامية التي كانت تدعي الدفاع عنها مما تسبب في قطع العلاقات بين الطرفين في الثمانينات، لتعود وتتحسن ابتداء من سنة ١٩٩٠، بعدما قامت طهران مقابلها ببيع حركة النهضة لنظام زين العابدين بن علي في الوقت نفسه الذي كانت تدعي الدفاع عنها في الجزائر والسودان كما سبق الإشارة، ولاحقا ومع تطور العلاقات بلغ بها الأمر درجة منع راشد الغنوشي الذي كان من أكثر المؤيدين لنظام الجمهورية الإسلامية من دخول إيران مقابل صفقات اقتصادية وغضّ النظر عن نشر التشيع في تونس مما جعل الأخير ينتقد طهران وينعت مراهنتها على نظام ديكتاتوري بالانتهازية[٣]، ولكن عند الثورة تغير الحال حيث أعربت عن تأييدها للشعب التونسي، وأصبح زين العابدين بن علي مواليا للغرب وديكتاتورا وهو المشهد الذي تكرر في مصر.

فهناك كانت علاقتها متأزمة مع نظام حسني مبارك، لذلك احتفت كثيرا بسقوطه وحاولت نسبة الثورة المصرية لنفسها، ولكن مع وصول الإخوان للسلطة وانتهاجهم لخط سياسي مخالف كثيرا للمواقف الإيرانية الذي بلغ ذروته برفض قمع نظام بشار الأسد للشعب السوري، تغير الموقف الإيراني حيال مصر وجاء الانقلاب ليكشف تلون المواقف الإيرانية حيث وقعت إيران في شباك رد فعل

(١) صلاح سالم زرنوقة، السودان من الانقلاب العسكري إلى المعارضة المسلحة: النظام السوداني من منظور علاقاته مع إيران، الأهرام الرقمي نقلا عن مجلة السياسة الدولية، ١٩٩٧/٠٤/٠١، على الرابط:
http://www.ahramdigital.org.eg/articles.aspx?Serial=218714&eid=3379

(٢) أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق.

(٣) أسامة شحادة، من تاريخ الحركة الإسلامية مع الشيعة وإيران، كتاب الراصد ٧، ص ١٢٩.

«انتقامي» احتفى على استحياء أحيانًا، وبوضوح أحيانًا أخرى بـ «سقوط الإخوان».

فإيران لم تنس لمرسي خطابه الذي تحدى به المنظومة الفكرية الشيعية في عقر دارها، ووجّه النقد إلى دور الجمهورية الإسلامية في سوريا خلال زيارة إلى طهران لم تتجاوز الساعات الأربع تجنب خلالها مقابلة مرشد الثورة علي خامنئي. وغلبت نبرة تبريرية على القراءة العجولة لما حدث في مصر؛ فمرسي لم يتخذ «موقفًا متشددًا من إسرائيل كما كان متوقعًا، وتراجع عن مبادرته لحل الأزمة في سوريا سلميًا، وارتكب الكثير من الأخطاء»، وتجاوز ذلك إلى وصفه بـ «قلة الكفاءة والغرور»[1].

الخلاصة:

ربما تكون مصادفة أن يكون معنى الثورة في اللغة الفارسية هو انقلاب، ولكن في اللغة السياسية هناك فرق كبير بين الكلمتين لا شك أن طهران تدركه جيدا، وهي في تفسير معانيه تستند إلى قاموس مصالحها، وهذه أمور طبيعية جدا فالدولة ليست جمعية خيرية كما يقال.

ولكن في المقابل هناك جملة من القيم والمبادئ يجب أخذها بعين الاعتبار في التحليل السياسي لمواقف الدول، وهذا ما يستند إليه في تحليل استراتيجيات القوى الدولية، حيث الإجماع على أن نشر الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان كان مجرد واجهة من طرف القوى الغربية لتبرير سياساتها في المنطقة، وهذا ما تجلى في كثير من المواقف بداية من فلسطين وانتهاء بالعراق وسورية.

ولكن في المقابل الكثير من الأكاديميين والسياسيين في الأوساط العربية، يحاولون لي عنق هذه الحقائق عند الحديث عن السياسة الخارجية الإيرانية، مستثمرين في تناقضات المشهد العربي، ولعل النافذة الإفريقية البعيدة نسبيا عن الانفعالات العاطفية في التحليل، تكشف بما لا يدع أي مجال للشك أن الدور الإيراني هناك تخريبي يستند لنفس الآليات التي تنتهجها القوى الغربية في سياساتها وهو ما يمكن تعميمه انطلاقا من هناك على المنطقة العربية أيضا.

وبالنسبة للموقف من الانقلابات العسكرية الذي اتخذناه نموذجا في هذه الدراسة، المتناقض جملة وتفصيلا مع مبدأ الدفاع عن المستضعفين، اتضح تشابه محددات السلوك الإيراني تجاهها في الدول الإفريقية والعربية، فإيران تعوّل على أي تغير سياسي وتستثمر فيه بما يخدم مصالحها لمنافسة القوى الدولية والإقليمية، دون الأخذ بعين الاعتبار أوضاع الشعوب ومعاناتها جراء التغييرات السياسية، وحتى إن اقتضى ذلك توظيف دماء المستضعفين في صراعات داخلية فضلا عن الالتفات لما تقوم به الأنظمة العسكرية في حقها، ومن ينتظر من مثل هذه الأنظمة التصويت لصالح ملفه لحقوق الإنسان في المحافل الدولية وتبادل الأدوار معه في نفس المجال وتعليق وتبرير كل الانتهاكات والظلم على مشجب مواجهة الاستكبار، هل يمكن الحديث إذا عن مبادئ وقيم دينية لدى آيات الله العظمى الشيعية؟!

(1) فاطمة الصمادي، بين اللوم والتوجس قراءة إيرانية مرتبكة لأحداث مصر، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣/٠٧/٣٠، على الرابط: http://studies.aljazeera.net/reports/2013/07/2013729134937923407.htm

هل من الممكن أن تكون إيران والهند الخطة (ب) في أفغانستان

راجيف اجاروال[*] – موقع الدبلوماسي The diplomat

٢٠١٤/٢/١٤ ترجمة خاصة بالراصد

إن هذا عام تاريخي في حياة أفغانستان بعد عقد من الحرب، فالبلاد في طريقها للانتقال إلى عهد جديد، ومن الآمال المعلقة عليه الحد من الاضطرابات في البلاد، وتحقيق السلام والاستقرار

(*) كاتب أردني.

والنمو فيها. فمن المقرر أن تخضع أفغانستان لعملية الانتقال السياسي، حيث ستجرى الانتخابات الرئاسية في شهر أبريل (نيسان)، وسيحدث تحول في النظام الأمني للبلاد - وقد بدأ بالتحول فعلا- بالإضافة إلى انسحاب كامل للقوات الدولية في نهاية هذا العام.

في الوقت الذي تجري فيه العملية السياسية والذي تعتبر فيه أكثر من كونها مجرد قرار داخلي ليتخذه الشعب الأفغاني فحسب، فإن التحول الأمني يحمل مفتاح الأمن لمستقبل أفغانستان، لكن الأمر الذي يشكل وترا حساسا بالنسبة إلى ذلك هو اتفاقية الأمن الثنائي مع أميركا. ورغم أن مجلس شيوخ أفغانستان بلور هذه الاتفاقية ووضح ملامحها في نهاية شهر نوفمبر، إلا أن الرئيس الأفغاني حامد كرزاي لم يصبح مستعدا بعد للتوقيع عليها، الأمر الذي يزيد الأمور سوءا بالنسبة إلى واشنطن والذي قد ينذر بخيار صفر ويجر الأمن في أفغانستان إلى عواقب وخيمة في نهاية عام ٢٠١٤ وما بعده.

وفي ظل هذه المشكلة التي لا يرجح التغلب عليها قريبا، فإن كرزاي يبحث في شأن الخطة «ب» والتي تتمتع فيها كل من الهند وإيران بدور مهم، لا سيما في ظل وجود مصالح مشتركة لهما في أفغانستان، فضلا عن وجود نزعات وتوجهات مشتركة، لذلك فإنهما ستكونان بمثابة شريان مهم للحياة في أفغانستان خلال الفترة الانتقالية.

إن الأحداث في الأشهر الأخيرة تشير إلى ثلاثة جوانب سياسية واضحة، أولها أن كرزاي غير مستعد لتوقيع الاتفاقية الأمنية الثنائية مع أمريكا في الوقت الحالي –على الأقل حتى الانتخابات الرئاسية - ويبحث عن صفقات أكبر. وثانيها الزيارات التي قام بها كرزاي ووزراؤه إلى إيران والهند في الأشهر الأخيرة وتهدف بشكل واضح إلى تأمين وحشد الدعم من الدولتين في حال عدم قدوم دعم من أمريكا. وثالثها محاولة كرزاي للتملص من إجراء محادثات مع طالبان في ظل غياب أي مبادرة أمريكية واضحة بهذا الخصوص، وأن إيران والهند قد يكون لهما دور أساسي في هذه المحادثات.

لقد تمت زيارات كرزاي إلى إيران والهند في ديسمبر من العام الماضي (٢٠١٣)، وذلك بعد مصادقة مجلس الشيوخ الأفغاني على اتفاقية الأمن الثنائية مع أمريكا. والمثير للاهتمام أن الزيارتين تمتا بعد فترة وجيزة من توقيع إيران وأمريكا اتفاقا بشأن القضية النووية الإيرانية. كما حظي كرزاي لدى وجوده في إيران بدعم من الرئيس الإيراني حسن روحاني عندما صرح الأخير: «نحن قلقون إزاء الاضطرابات التي تنتج عن وجود قوات أجنبية في المنطقة، وأن على تلك القوات مغادرة المنطقة، وأن أمن أفغانستان يجب أن يقوم به الأفغان أنفسهم»، وكون ذلك التصريح قد صدر من إيران في هذه المرحلة فإنه يعد دعما كبيرا لكرزاي.

واتفقت كل من الدولتين – إيران وأفغانستان – على توقيع اتفاقية صداقة وتعاون والتي يمكن أن تشمل الجوانب السياسية والتعاون الأمني والتنمية الاقتصادية، الأمر الذي من شأنه أن يكمل اتفاقا مسبقا بينهما في آب الماضي حول الأمن والحدود الجغرافية بينهما.

كما زار كرزاي مباشرة بعد ذلك الهند في ١٣ ديسمبر، ولم يكن الهدف منها زيادة الدعم وتعزيزه فقط، بل تهدف أيضا إلى طلب زيادة المساعدات العسكرية. ففي زيارته السابقة إلى نيودلهي في مايو ٢٠١٣، كان قد قدم للسلطات الهندية قائمة بالإمدادات العسكرية والأسلحة الفتاكة وغير الفتاكة، واحتوت القائمة على المدافع والمروحيات والمدرعات. وفي زيارته في ديسمبر، لم يكرر طلباته فحسب، بل طلب أيضا من الهند مشاركة أكبر في تجهيز قوات الأمن الوطنية الأفغانية للتعامل مع طالبان ومواجهتها نهاية عام ٢٠١٤ وما بعده.

أما الهند فقد أكدت التزامها بتعميق

التعاون بين البلدين في مجال الدفاع والأمن، وذلك من خلال تطوير التدريبات العسكرية وتلبية حاجات ومتطلبات الأمن الوطني الأفغاني من معدات وبنى تحتية، وتعليم عال للضباط الأفغان. ورغم زيادة التأكيد على ضرورة توقيع اتفاقية الأمن الثنائي، إلا أن الهند لم تمارس أي ضغط على كرزاي في هذا الشأن، مشيرة الى أنها تشاركه التفاؤل بهذه الاتفاقية والرغبة في إتمامها شريطة أن لا تكون مفروضة على كرزاي فرضا.

لقد كانت كل من إيران والهند مجرد بديل محتمل لأفغانستان، لكن ما هي إلا شهور قليلة ماضية حتى أصبحت أفغانستان تميل بشكل كبير وملحوظ إلى هذا البديل. وربما سهلت الاتفاقية النووية الإيرانية الطريق لدعم أفغانستان عن طريق إيجاد حلول مثالية للمشاكل فيها. وكان اجتماع مستشار الأمن القومي الهندي شيفشانكار مينون مع وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف في ١ شباط في مؤتمر ميونيخ لمناقشة التطورات الأخيرة في أفغانستان اجتماعا هاما جدا، حيث تركزت المباحثات حول التعاون بين الهند وإيران في التعامل مع الوضع في أفغانستان، لا سيما في ما يخص العلاقة الحالية بين واشنطن وكرزاي، ومن المرجح أن يرسل الرئيس الإيراني حسن روحاني الأمين العام للمجلس الأعلى الإيراني للأمن القومي علي شمخاني، إلى الهند قريبا لمناقشة الأمر.

لقد لقيت تقارير المحادثات المباشرة بين كرزاي وطالبان استجابة في الشارع الهندي، الأمر الذي يرجح زيارة وزير الخارجية الهندي لكابول في مارس ٢٠١٤.

إن أفغانستان تعمل وفق خطة ثنائية متزامنة مع كل من الهند بوصفها حليفا أهلا للثقة وصديقة في السراء والضراء ومع إيران بوصفها دولة ذات حدود جغرافية مباشرة مع أفغانستان وجزءا من التاريخ السياسي والثقافي لها، وذلك ضمانا لمستقبلها سواء بتوقيع اتفاقية الأمن الثنائية مع أمريكا أو بدونها، وسيكون لكل من الهند وإيران دور مهم في العملية الانتقالية في أفغانستان نظرا للعلاقات الاستراتيجية والعلاقات الودية بينها وبين أفغانستان.

الحركة النسوية في مصر (٢)
الجذور التاريخية

فاطمة عبد الرءوف(*)– خاص بالراصد

لا يمكن الحديث عن الحركة النسوية المصرية دون النظر للوراء لمعرفة الجذور الحقيقية لتلك الحركة والمراحل التاريخية التي مرت بها .. النظرة التاريخية ليست مجرد نظرة معرفية جامدة وإنما تحمل بين طياتها روحا وتساؤلات حية متعلقة بالظلم والعدالة .. كيف كانت تعيش المرأة المصرية المسلمة؟ وما هي اهتماماتها؟ وما هو قدر المعارف الذي تحصل عليه؟ من الذي اهتم بها؟ وكيف؟ وما النتائج التي ترتبت على ذلك؟

لو عاد بنا الزمان قرنين كاملين لربما وضعنا أيدينا على بعض الإجابات لهذه التساؤلات الحيوية فيما يتعلق بوضع المرأة المصرية.

كان واقع المجتمع المصري في بداية القرن التاسع عشر بالغ السوء حيث تردت جميع مناحي الحياة .. مجتمع ضعيف هش بانت هشاشته في ذلك الاستعمار الفرنسي الذي ضرب أراضيه كالزلزال ليكتشف المصريون أن للحياة وجوها أخرى لا يعلمون عنها شيئا وأنهم من الناحية العلمية يرزخون في ظلام هائل .. كان وضع النساء مزريا وكذلك وضع الرجال، وعلى الرغم من حب العلم الديني وانتشار الكتاتيب وتحفيظ القرآن إلا أن مفاهيم دينية كبيرة كانت غائبة أو ملتبسة ومن

(*) كاتبة مصرية.

ذلك تحقير العلم المادي الدنيوي حتى أنه تم مقاومة أن يُدرس في الأزهر أي علوم باستثناء العلوم الدينية البحتة.

وكانت النساء شبه غائبات عن دور تحفيظ القرآن هذه باستثناء من تمكنهن ظروفهن المادية من استقدام معلم خاص للبيت بحيث تصبح المرأة التي تقرأ وتكتب مجرد استثناء شاذ من القاعدة.

تدين مغشوش

كانت العادات والتقاليد البالية التي تم إقرارها تحت وطأة الجهل تمتزج ببعض التعاليم الإسلامية وشاع عدد من الأحاديث الموضوعة عن المرأة ولعل أشهرها (لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة) وفي رواية أخرى لهذا الحديث الموضوع المنسوب كذبا إلى عائشة رضي الله عنها، وأنها ترفعه إلى النبي ﷺ وفيه: (لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور. وفي رواية: واستعينوا عليهن بالعري، وأكثروا لهن من قول لا، فإن نعم تغريهن على المسألة).

لقد وصل من تأصل هذه القضية في الوجدان الشعبي أن رفاعة الطهطاوي - المتهم بالتغريب - وأول من دعا لتعليم الإناث كان يبرر هذا الحديث الموضوع ويحاول أن يجد له مخرجا أو تفسيرا ما (وأما القول بأنه لا ينبغي تعليم النساء الكتابة وأنها مكروهة في حقهن ارتكانا على النهي عن بعض ذلك في بعض الآثار فينبغي ألايكون ذلك على عمومه ولا نظر إلى قول من علل ذلك بأنه من طبعهن المكر والدهاء والمداهنة)[1].

ويتابع الطهطاوي في وصف دقيق للعقلية الجمعية للمصريين فيما يتعلق بوضع وقيمة النساء في ذلك الوقت (ولا يعتمد على رأيهن لعدم كمال عقولهن فتعليم القراءة والكتابة ربما حملهن على الوسائل غير المرضية ككتابة رسالة إلى زيد ورقعة إلى عمرو وبيت شعر إلى خالد ونحو ذلك وأن الله تعالى لو شاء أن يخلقهن كالرجل في جودة العقل وصواب الرأي وحب الفضائل لفعل)[2].

إذن النساء ضعيفات العقل واللاتي لا يبحثن عن الفضائل ولا يحببنها ما هي الغاية من خلقهن (فكأن الله تعالى خلقهن لحفظ متاع البيت ووعاء لصون مادة النسل)[3]، ثم يستطرد رفاعة الطهطاوي محاولا الرد والدفاع بأسلوب من يقر كثيرا مما قيل ويعتبر صحته ولكنه لايراه منطبقا على كل النساء فيقول: (فمثل هذه الأقوال لا تفيد أن جميع النساء على هذه الصفات الذميمة ولا تنطبق على جميع النساء وكم من نهي وردت به الآثار كحب الدنيا ومقاربة السلاطين والملوك والتحذير عن الغنى قد حمل على ما يعقبه شرر وضرر تحقق، وتعليم البنات لا يتحقق ضرره فكيف ذلك وقد كان أزواجه ﷺ من يكتب ويقرأ كحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبي بكر وغيرهما من نساء كل زمن من الأزمان، ولم يعهد أن عددا كثيرا من النساء ابتذلن بسبب آدابهن ومعارفهن، على أن كثيرا من الرجال أضلهم التوغل في المعارف وترتب على علومهم ما لا يحصى من شبه الخروج والاعتزال)[4].

ويختتم الطهطاوي تحليله للتشديد في قضية التعليم للحمية الجاهلية (وليس مرجع التشديد في حرمان البنات من الكتابة إلا التغالي في الغيرة عليهن من إبراز محمود صفاتهن أيا ما كانت في ميدان الرجال تبعا للعوائد المحلية المشوبة بحمية الجاهلية)[5].

هكذا كان المجتمع المصري منذ نحو قرنين من الزمان وهكذا كان يُنظر للمرأة فيه. وغني عن البيان أن المصريين في ذلك الوقت كانت لديهم صورة باهتة للدين وأن قوة العادات والتقاليد كانت الأعلى صوتا وغالبا ما كان يضاف لها طبقة

(١) المرشد الأمين للبنات والبنين .. رفاعة الطهطاوي، ص ١٤٣ دار الكتاب المصري.

(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.

مصطنعة من التدين المغشوش القائم في كثير من الأحيان على الأحاديث الموضوعة والضعيفة كما رأينا في موقفهم من تعليم المرأة.

الإصلاح المتغرب

للأسف الشديد لم يحمل راية النهضة بالمجتمع وبالنساء إسلاميون نهضويون بالمعنى الحقيقي بحيث يعتمدون في نهضتهم على الكتاب والسنة الصحيحة وتكون نظرتهم لغيرهم من الأمم والأفكار نظرة الناقد المدقق وإنما قام بهذه المهمة أشخاص لديهم بعض المعرفة الدينية تم تدجينها عبر تسلط أفكار أخرى كانت تشع بريقا في ذلك الوقت وربما ولهذا السبب لم تؤت أكلها وثمارها في البيئة المصرية.

فرفاعة الطهطاوي مثلا الذي استشهدنا بآرائه وتحليله لقضية تعليم المرأة والذي قدم مرافعة قوية للدفاع عن حقها في التعليم من منظور إسلامي هو ذاته رفاعة الطهطاوي الذي نقل صورة مراقص باريس كما رآها وحلل مهارات الراقصين وكاد أن يقول إنه رقْص لا يخدش الحياء ويقول في وصفه لحال المراقص في باريس: (فالرقص في باريس دائمًا غير خارج عن قوانين الحياء، بخلاف الرقص في أرض مصر فإنه من خصوصيات النساء؛ لأنه لتهييج الشهوات، أما في باريس فإنه لا يُشم منه رائحة العهر أبدًا! وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية، وهكذا، وسواء أكان يعرفها أو لا، وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص معهن) [1].

ثم يسهب في وصف نوع الرقصات وشكلها؛ فيقول: (وقد يقع في الرقص رقصة مخصوصة؛ بأن يرقص الإنسان ويده في خاصرة من ترقص معه، وأغلب الأوقات يمسكها بيده) [2].

فهو على الرغم من أنه يتحدث في مجمل الوصف إلا أنك تشتم رائحة الرضى عن هذا الرقص الذي يراه لا يخدش الحياء ولا يهيج الشهوات ومسك اليد والخاصرة هي أمور عادية جدا وطبيعية والنساء ترقص مع من يطلب منها ذلك حتى لو كانت لا تعرفه أساسا، وهذا كله أمر يذكره الشيخ!! فكيف يمكن لنا أن نتفاعل مع دعوته لتعليم المرأة من منظور إسلامي وفي الوقت ذاته نقبل كلامه ولو وصفا عن الملاهي والمراقص والراقصات؟!

نستطيع أن نستشف أيضا الربط بين انحلال المجتمع وما فيه من رقص واختلاط، واحترام المرأة وتعليمها وحصولها على حقوقها بينما ترتبط الغيرة بالاعتراض على ظلم المرأة وامتهانها واعتبارها عاملة تحفظ متاع البيت ومجرد وعاء لحفظ النسل.

الحياة الراكدة

على أي حال كان وضع المرأة يتسم بالركود ولم يؤخذ كلام الطهطاوي على أنه حجر ألقي في بركة راكدة، ويبدو أنه لم يكن له تأثير على مستوى القاعدة الشعبية سواء بالنقد البناء أو الاستجابة، ولم يشعل حراكا فكريا وسط المثقفين والمهتمين بالشأن العام وعلى رأسهم مشايخ الأزهر والأشراف وربما يعود السبب الرئيس في ذلك لطبيعة حكم محمد علي وأولاده والذي اتسم بالديكتاتورية وتركز جميع السلطات في يد الدولة ومن ثم أصبحت الدولة المصرية المهيمنة على الشأن الثقافي والمجتمعي.

فعندما اتجه محمد علي لتأسيس المدارس النظامية للأولاد لم يقبل عليها المصريون الذين اعتادوا على نظام الدراسة الحرة في الكتاتيب والأزهر حتى أن محمد علي كان يرسل جنوده للقبض على الأطفال قسرا ودون رغبة من الأهالي ويلحقهم بالمدارس وربما انقطعت صلتهم بأهاليهم لسنوات عديدة وكانت المدارس لها نظام صارم شبه عسكري والمعلمون ضباط في الجيش المصري.

لم يستطع محمد علي الاستجابة لرفاعة الطهطاوي في إنشاء مدارس نظامية للبنات فأنشأ

(١) تخليص الإبريز في تلخيص باريز، رفاعة الطهطاوي ص ١١٩ نقلا عن مصطفى كريم الطهطاوي، البذرة الأولى لشجرة التغريب.
(٢) المرجع السابق.

فقط مدرسة للقابلات سنة ١٨٣٢م للحاجة الماسة لهذا الفرع الطبي النسائي، أما أول مدرسة للبنات فلم تنشأ إلا في عهد إسماعيل سنة ١٨٧٣م، أما على المستوى الشعبي فكان وضع المرأة يراوح مكانه.

شريعة نابليون

انتهى مشروع التحديث الذي وضعه محمد علي بصورة مأساوية حيث تراكمت الديون في عهد إسماعيل وأعقب ذلك الاحتلال البريطاني لمصر، ومن السذاجة تصور أن الاحتلال كان يهدف فقط للسيطرة العسكرية والاقتصادية على بلد مهم مثل مصر فالسيطرة الثقافية الناعمة هي التي تدوم في الحساب النهائي .. هذه السيطرة التي بدأت قبل الغزو العسكري الفعلي.

فحديث إسماعيل أو حلمه بأن تصبح مصر قطعة من أوربا لم يكن عبثا فالخديوي المفتون بأوربا لا يتم تركه حتى يسير بخطوات هادئة على طريق التحديث الأوربي بل تمارَس عليه ضغوط هائلة لتغيير البنية الثقافية المجتمعية العميقة ربما استباقا لنهضة منشودة تقوم على تراث الأمة وأصالتها حتى أن إسماعيل كان يريد الاحتكام للقانون الفرنسي أو شريعة نابليون كما كان يطلق عليها تحت وطأة هذه الضغوط وكان يريد من رفاعة الطهطاوي أن يكون الحلقة الوسيطة في هذا الأمر الجلل فهو من ناحية قد سبق وترجم القانون الفرنسي في سياق إعجابه الواضح بحداثة الغرب وهو من جهة أخرى شيخ أزهري يستطيع أن يحدث علماء وشيوخ الأزهر بلغة دينية (مزيفة) قال الشيخ رشيد: (حدثني علي باشا رفاعة بن رفاعة بك الطهطاوي قال: إن إسماعيل باشا الخديوي لما ضاق بالمشايخ ذرعاً استحضر والده رفاعة بك وعهد إليه أن يجتهد في إقناع شيخ الأزهر وغيره من كبار الشيوخ بإجابة هذا الطلب وقال له:

إنك منهم، ونشأت معهم، وأنت أقدر على إقناعهم، فأخبرهم أن أوروبا تضطرب إذ هم لم يستجيبوا إلى الحكم بشريعة نابليون، فأجابه بقوله:

«إنني يا مولاي قد شخت، ولم يطعن أحد في ديني، فلا تعرضني لتكفير مشايخ الأزهر إياي في آخر حياتي، وأقلني من هذا الأمر، فأقاله)[1]. هذا الدور الذي قام به علي عبد الرازق بعد ذلك في كتابه المشهور الإسلام وأصول الحكم.

غني عن البيان أن قضية المرأة لا يمكن أن تنفصل عن الصورة والسياق اللذين يعيشهما المجتمع الغارق في غفلته بينما تمارس عليه الضغوط اللعينة حتى يستبدل هويته.

مخطط معلن

لم تمر عشر سنوات على الاحتلال الإنجليزي حتى صدر كتابان بالغا الجرأة في شرح وتوضيح المخطط الذي يراد بالمرأة المسلمة ومن ثم الأسرة المسلمة - جميع المؤامرات التي حيكت لنا كانت منشورة وصريحة وصادمة لدرجة أننا لم نأبه لها - الكتاب الأول نشره قبطي مصري هو المحامي مُرقص فهمي وأطلق عليه (المرأة في الشرق) في سنة ١٨٩٤م أي بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر بحوالي اثنتي عشرة سنة.

رواية (المرأة في الشرق) للقبطي مرقص فهمي عرض فيها لأفكاره المسمومة من خلال الحوار الفني وهي تقنية تم استخدامها كثيرا، أي توظيف الأدب لخدمة الفكرة الهدامة، وهي الفكرة التي ستتطور بظهور فن السينما بعد ذلك وتوظيفها لخدمة المشروع النسوي.

لم يتحدث مرقص عن تعليم النساء إنما تحدث عن الحجاب والاختلاط والحب ومنع التعدد وتقييد الطلاق بل والأدهى من ذلك كله طالب بزواج المسلمات من النصارى من باب المساواة. لقد أسقطت رواية (المرأة في الشرق) خطوطا حمراء لم يكن يجوز الاقتراب منها.

أصبحت مصر تحت الاحتلال مباحة، فهذا مرقص الصليبي يحتمي بالمحتلين الصليبيين الجدد

(١) تاريخ الإمام محمد عبده للشيخ محمد رشيد رضا ص ٦٢٠، ٦٢١ نقلا عن (عودة الحجاب) لمحمد إسماعيل المقدم.

وإن لبسوا ثياب الحداثة والعلمنة وهذا «الدوق دراكير» يكتب مؤلفه (المصريون) ليهاجم أبناء هذا الشعب الذين وقعوا ضحية الاحتلال. تعدى الدوق دراكير على الإسلام وهاجم أحكامه المتعلقة بالمرأة، وحمل فيه على نساء مصر، وهاجم المصريين، وتعدى على الإسلام، ونال من الحجاب الإسلامي وقرار المرأة في بيتها واقتصار وظيفتها على التربية.

ولا يمكن أن ننسى في هذا الصدد قيام اللورد كرومر بتعيين القسيس المنصر «دوجلاس دنلوب» في منصب مستشار لوزارة المعارف المصرية «وزارة التعليم» ذلك الرجل الذي سيلعب دورا غاية في الأهمية لاستغلال التعليم في خدمة الاستعمار الثقافي والذي سيتجلى في أوضح صوره فيما يتعلق بقضية المرأة.

الدولة القبطية.. شبح التقسيم يهدد مصر

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

ربما ينظر البعض إلى مسألة إعلان تأسيس ما يسمى بـ «الدولة القبطية» بالكثير من الاستخفاف الشديد كون أمر هذه الدولة المزعومة - ووفق اعتقاد المستخفين - لا يعدو مجرد محاولة من قبل عناصر النصارى المتطرفين من المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض البلدان الأوروبية لإثبات الوجود ولفت الأنظار فضلا عن إثارة الفتنة الطائفية في البلاد لحساب أجندات خارجية لعدد من البلدان سواء كان ذلك من منطلق المعاداة لمصر أو بهدف ممارسة الضغط على السلطات المصرية أيا كان توجهها بشأن بعض الملفات في الداخل والخارج.

كما يستند هؤلاء إلى أن إعلان هذه الدولة لا يعبر بشكل دقيق عن تطلعات الأغلبية المسيحية في مصر التي أكدت مرارا وتكرارا عبر بعض ممثليها أنه لا يروق لهذه الأغلبية مثل هذه الخطوات المتهورة والسياسات غير المنطقية بل والمخالفة تماما لمسار وتاريخ العلاقة بين الأقباط والمسلمين منذ الفتح الإسلامي للبلاد في عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وحتى الآن فالكنائس المصرية بمختلف طوائفها وعلى رأسها الكنيسة الأرثوذكسية لا تفتأ تؤكد بين الحين والآخر على وطنيتها وأن رعاياها وشعبها جزء لا يتجزأ من النسيج الوطني العام ومن ثم فهي حريصة كل الحرص على وحدة التراب المصري.

تداعيات الواقع

وبعيدا عن التطرق إلى تقييم مواقف نصارى مصر السياسية خاصة خلال السنوات العشر الأخيرة وهي المواقف التي أصابت العديد من القوى والتيارات الإسلامية الدعوية والتنظيمية بالصدمة حيث استشعر البعض أن ما تشهده الكنيسة المصرية وخاصة الأرثوذكسية يمثل حالة ومرحلة جديدتين اقتربت فيها الكنيسة بشكل كبير من العمل السياسي والخوض في الأمور العامة لدرجة تعد في ذاتها تناقضا واضحا مع ما تعلنه الكنيسة عن أن هدفها ديني وأن رسالتها روحية فحسب إذ أصبح للبابا الذي هو رأس الكنيسة تصريحات وتوجيهات سياسية دفعت إلى أن يعتقد الكثيرون بأن الكنيسة باتت أشبه بالحزب السياسي، لكنه وبكل أسف حزب قائم على توجه طائفي ينتمي جل أعضائه وقياداته إلى العقيدة النصرانية..

نقول إنه وبعيدا عن الخوض في تفاصيل تقييم هذا الموقف فإن الواقع المصري سواء قبل أحداث ثورة يناير ٢٠١١م أو بعد الثورة يشهد حالة من التوتر الطائفي بين المسلمين والأقباط، الأمر الذي استنفر الأحزاب والقوى السياسية فضلا عن أهل الثقافة والفكر في البلاد من أجل احتوائه ومعالجة أسبابه وآثاره، وهي المحاولات التي نجح بعضها فيما

(*) كاتب مصري.

أخفقت الأخرى حيث بدت وكأنها وبالتعبير المصري «اسطوانات مشروخة» إذ كانت تركز على القشور دون أن تتعمق في حقائق المشكلات التي تعيشها البلاد.

ولعل تصاعد حالة الاحتقان لدى من يطلقون على أنفسهم «أقباط المهجر» وهم مجموعات من نصارى مصر ممن هاجروا خارجها سواء لدوافع سياسية أو اقتصادية أو لغير ذلك أحد أهم آثار وتداعيات المشهد في مصر، بل إن هذا الاحتقان لدى هؤلاء ربما يكون قد أخذ منحى مختلفا حيث بدأ بعضهم يتعاطون مع الواقع المصري ومشكلاته انطلاقا من مفاهيم ومنطلقات غربية بحتة لا تراعي العديد من المحددات التي يجب مراعاتها في معالجة المشكلات المجتمعية لبلد له خصوصيته الدينية والسياسية والتاريخية كمصر ومن ثم جاءت رؤية هؤلاء متطرفة ومتشددة إلى الحد الذي تجاوز في أصلها مطالب الأقباط في الداخل والتي وإن كان بعضها صادما إلى حد ما إلا أنه يبقى من الممكن أن تطرح على مائدة النقاش والحوار المجتمعي.

الوهم والحقيقة

ويأتي إعلان نحو ثلاثمائة قبطي مهاجر عن تأسيس ما أطلقوا عليه «الدولة القبطية» أبرز مظاهر هذا الاحتقان إذ وصل الأمر إلى حد الدعوة إلى تقسيم البلاد وتجزئتها وهو الأمر الذي يتجاوز كل محظورات الأمن القومي ويدعم المخططات الخارجية التي تسعى إلى تفتيت دول المنطقة إلى دويلات صغيرة متناثرة أكثر مما أضحت عليه من تفتيت في أعقاب اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م.

وعلى الرغم من الاتفاق إلى حد كبير مع القائلين بأن مثل هذا الإعلان لا يعبر عن عموم أقباط مصر فإنه ليس من المستبعد أن يتحول الذي نراه وهمًا اليوم بين لحظة وضحاها إلى حقيقة في ظل حالة التجاذبات الكبرى التي يشهدها العالم خاصة المنطقة العربية التي تعاني وضعا غير مستقر منذ سنوات.

ولا يحول دون تحقيق ذلك ما كنا نردده وكأنه مسلمة من أن تركيبة الشعب المصري تختلف عن سواها من شعوب المنطقة والعالم كون مظاهر الطائفية والإثنية ليست بارزة مقارنة بما هي عليه في بعض البلدان إذ أن ما شهدته مصر بعد أحداث الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م حيث استخدام السلاح ووقوع الآلاف من القتلى والمصابين لأسباب سياسية قفزة هائلة على تلك المسلمة حتى أن الكثير من المحللين والمراقبين السياسيين لم يعد يستبعدوا أن تحدث حرب أهلية هنا أو هناك.

كذلك فإن ما حدث في السودان وهي الدولة الأقرب إلى مصر وذات العلاقات التاريخية الوثيقة معها لابد وأنه يمثل هاجسا حقيقيا يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار بل وبأهمية قصوى إذ الخطر على الأبواب مهما حاول البعض أن يخفف من حدته فالمخطط التآمري الذي انتهى إلى تقسيم السودان ما بين دولة جنوبية وأخرى شمالية كان يستهدف بالأساس إضعاف مصر وإحكام السيطرة على نهر النيل الذي يمثل لها شريان الحياة.

يضاف إلى ذلك فإن القوى المعادية تحاول أن تستنسخ نفس الأسباب والدوافع التي استندت إليها لتقسيم السودان لتكون الحجة التي على أساسها يتحرك الداعون إلى «الدولة القبطية» المزعومة ومن ثم فإن المجتمع الدولي يمكن أن يتقبل الفكرة أو على الأقل لا يواجهها بقوة.

ولعل ما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه هو أن القائمين على تأسيس «الدولة القبطية» المزعومة أعلنوا عنها بالتزامن مع إعلان انفصال جنوب السودان وتدشين دولته المستقلة وذلك يوم العاشر من يوليو ٢٠١١م في إشارة ذات دلالة مفادها أن معاناة أهل الجنوب السوداني – المزعومة - والتي دفعتهم للنضال من أجل الاستقلال والحصول على الحرية من قبضة حكام الشمال السوداني هي نفسها المعاناة التي يعانيها أقباط مصر من المسلمين والتي لن تنتهي بطبيعة الحال إلا إذا استقل الأقباط بدولة خاصة بهم هي «الدولة القبطية» ليحققوا ما

حققه أهل الجنوب السوداني.

القصة والأسباب

بلا خجل وعلى مرأى ومسمع من العالم اجتمع العشرات من أقباط المهجر ممن أسموا أنفسهم الهيئة التأسيسية للدولة القبطية لاختيار قياداتها وإيهام العالم بأنها تعكس إرادة الأمة القبطية المصرية فانتخبوا المدعو عصمت زقلمة رئيسا لها، فيما انتخبوا المستشار موريس صادق – المنزوع الجنسية استنادا لحكم قضائي مصري بذلك - سكرتيرا تنفيذيا، والمهندس والإعلامي نبيل بسادة أمينا عاما والمهندس إيليا باسيلي مفوضا عاما للتنسيق الدولي للدولة القبطية التي قالوا إنها ستكون عبارة عن حكم ذاتي للأقباط حيث سيقوم المؤسسون ولجنة المائة والأعضاء بداخل مصر وخارجها في غضون الأيام المقبلة على حشد التأييد لفكرتها لتكون على شاكلة «دولة أكراد العراق».

ووفق ما أعلنته الهيئة التأسيسية فإنه يفترض أن يعيش أقباط مصر في ذات المناطق على امتداد مصر على أن يكون لهم تنظيم سياسي مستقل عن الحكومة المركزية في صورة حكم ذاتي فيكون لهم محاكم خاصة، بها قضاة مسيحيون يحكمون وفقا لأحكام «الكتاب المقدس» فضلا عن محاكم مدنية تطبق القانون الفرنسي ومحاكم جنائية تطبق القانون الدولي ومحاكم أخرى مختلفة تنظر النزاعات بين المسلمين والأقباط.

وتشمل الدولة الجديدة وزارات للأقباط في مقابل الوزارات الحكومية بالإضافة لهيئات موازية كالشرطة والمخابرات وأمن الدولة والجامعات والمدارس على أن يكون التعليم بطبيعة الحال بالمؤسسات التعليمية باللغة القبطية.

ولم تغفل الدولة الجديدة أن تؤكد أنها ستقوم بتعيين سفراء لها في كل الدول أسوة بالفاتيكان في حين أنها لن تتنازل عن المشاركة مع الحكومة المركزية في إدارة جيش البلاد على أن يمثل فيه الأقباط بكل الرتب العسكرية.

وكما أشرنا سالفا فإن القائمين على الدولة المزعومة ساقوا العديد من الأسباب والمبررات التي دفعتهم لاتخاذ مثل هذه الخطوات التي تعني أن الأقباط يتعرضون لحالة من الاضطهاد والتمييز العنصري ما يجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية في حين أنهم ووفق ما يؤكدون مرارا يعدون أصحاب الحق الأصيل غير أن المسلمين – الغزاة – سلبوا هذه الحقوق، الأمر الذي يستلزم أن يناضلوا من أجل إعادة الهوية القبطية الأصيلة الخالية من الغبار العربي والإسلامي.

ويستند مؤسسو الدولة المزعومة لتأكيد دعاواهم إلى أن الدولة المصرية تقوم بالتضييق على النصارى بمنعهم من تبوؤ المناصب العامة فلا يتم تعيين قبطي في المؤسسات الصحفية أو رئيسا لمجلس مدينة بالإضافة إلى وضع قيود على بناء الكنائس وترميمها وعدم قيام الحكومة بوقف ظاهرة خطف القبطيات وأسلمتهن بالإكراه وإلزامهم بدراسة اللغة العربية كمادة إجبارية.

اليد الخفية

ليس من المنطقي أن يدعي مدعٍ أن مثل هذه الخطوات غير ذات علاقة بالقوى المعادية لمصر بل للأمة الإسلامية كلها والتي يأتي في مقدمتها «الكيان الصهيوني» الذي لا يتوقف للحظة واحدة عن استهداف مصر العدو الأول للكيان المغتصب لإشغالها وإلهائها في قضايا أخرى فلا تقوم بدورها المنوط بها للدفاع والذود عن الأمة والعمل على استعادة الأرض المحتلة.

والحقيقة أن مؤسسي الدولة القبطية المزعومة لم يضطروا المحللين والمراقبين إلى بذل كثير عناء في البحث عن الأيادي الخفية وراء مثل هذه الخطوة فقد كانت الرسالة التي بعث بها عصمت زقلمة المعين رئيسا للدولة القبطية إلى رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو ردا على تهنئته للأقباط المسيحيين بما يسمى «عيد الميلاد» كاشفة عن حجم العلاقة بين هؤلاء المؤسسين والدولة الصهيونية المحتلة.

وقد حملت كلمات رسالة زقلمة لنتنياهو الكثير من الدلالات السياسية حيث صور زقلمة المسلمين في مصر وكأنهم محتلون يمارسون التمييز العنصري والاضطهاد بحق الأقباط فيذبحونهم ويدهسونهم بالمدرعات ويقتلونهم بالرصاص في مسيراتهم السلمية ويهدمون كنائسهم.

ثم تأتي الكاشفة عندما يضمّن زقلمة رسالته لنتنياهو توجيه الشكر له على دعوته للأقباط بزيارة «أورشليم المقدسة» وأنه يعتزم بالفعل زيارتها على رأس وفد كبير عندما تتوحد «أورشليم» الشرقية والغربية تحت العلم «الإسرائيلي» فيما أعرب عن تمنيه بأن تعود «بيت لحم» التي وصفها باليهودية إلى السيادة «الإسرائيلية» كما هي ثابتة في الكتاب المقدس – على حد قوله – .

وتتضح ملامح قرب مؤسسي هذه الدولة مع الكيان الصهيوني أيضا في تفاصيل دعوتهم والتي لا تقتصر على مجرد الإعلان عن دولة خاصة بالأقباط إذ شمل ذلك أيضا الدعوة لتأسيس دولة خاصة بالنوبيين في جنوب مصر ودولة خاضعة للنفوذ اليهودي في شبه جزيرة سيناء.

ولا ينفصل بكل تأكيد هذا الموقف الصهيوني عن الموقف الأمريكي من الدولة القبطية المزعومة فمجرد استضافة أمريكا ورعايتها لهؤلاء هو في حد ذاته دعم لهم ورضى بما يفعلون حتى لو لم تتخذ خطوات عملية ظاهرة لتقوية شوكتهم وتحقيق أهدافهم، فواشنطن وكما هو معلوم للجميع تستخدم الأوراق السياسية المتاحة لها تبعا لمصلحتها وقتما تشاء وبالتالي فإنه من غير المستبعد أن تكون مثل هذه المظاهر واحدة من أوراق الضغط التي يرجح أن تستخدمها واشنطن في أي وقت وبالكيفية التي تشاء على السلطات المصرية.

إشارات خطرة

مرة أخرى ربما يكون لدى بعض المستخفّين الحق في رؤيتهم لهذا الإعلان باعتباره هراء لكن الواقع وتطورات الأحداث تفرض علينا أن نشير إلى أن ثمة مسائل يجب أن يحسب لها ألف حساب تدق ناقوس الخطر وتنبئ بأن المخطط جد لا هزل وأن الفرض الديني والواجب الوطني يفرضان أن تستيقظ العيون وتستنهض الهمم من أجل الوقوف كحائط صد منيع دون تحقيق هذه المخططات.

ولعل من أهم وأبرز هذه المسائل الخطيرة:

- أن الدولة القبطية المزعومة اتخذت عدة خطوات قانونية لإنشاء بنك قبطي برأس مال ٢٠ مليار دولار يشارك فيه رجال أعمال أقباط يقيمون في الولايات المتحدة وكندا وفرنسا وأن هذا البنك لا يقبل أموالاً من مسلمين.
- افتتاح نحو عشر قنصليات للدولة القبطية في واشنطن وباريس ومونتريال وسيدني وسول وبون و«أورشليم» وجوبا ولندن وجوهانسبرج.
- ادعاء زقلمة بأن هناك عناصر كثيرة من الأقباط المصريين داخل مصر تشارك في حكومة هذه الدولة وأن الخوف من البطش يمنعهم من الإعلان عن أنفسهم.
- سعيها لأن تكون هذه الدولة «لوبي» سياسي بالولايات المتحدة الأمريكية يضغط على إدارة البيت الأبيض من أجل ممارسة ضغوطه على أمريكا لتنفيذ بعض الإملاءات ومن ذلك مثلا مطالبتها للرئيس الأمريكي باراك أوباما والبنك الدولي بمنع الغذاء عن مصر وعدم إقراض الحكومة زمن حكم الرئيس المصري المعزول الدكتور محمد مرسي وذلك كوسيلة للضغط على القيادات الحالية لتنفيذ مخطط التقسيم بين المسيحيين والمسلمين وإنشاء الدولة القبطية والاعتراف بالحكم الذاتى لها.
- حديث بعض المراقبين ووسائل الإعلام عن أن هناك محاولات من قبل بعض الأديرة للسيطرة على ساحات شاسعة من أراضي الدولة المصرية وضمها لهذه الأديرة دون وجه حق وهو ما حدث مثلا في منطقة وادي النطرون حيث سيطر دير الأنبا مقار على آلاف الكيلو مترات وكما حدث في منطقة وادي الريان بالفيوم حيث تم السيطرة على

نحو ٩ آلاف فدان.

- ادعاء موريس صادق بأن فرنسا اعترفت بالدولة المزعومة بعد أن التقى عصمت زقلمة ببعض أعضاء الأحزاب الفرنسية ومنها الحزب الحاكم اليميني المتشدد «الاتحاد من أجل حركة شعبية (حزب الرئيس السابق نيكولا ساركوزي) ومودم – «الحزب الديمقراطي».

حزب التحرير بالسودان..
إدمان النقد وارتباك النهج

محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

تأسس حزب التحرير في فلسطين عام ١٩٥٣م على يد تقي الدين النبهاني، ويلاحظ على الحزب في مسيرته أنه يدين بالولاء الكامل لأفكار المؤسس التي بثها في ما أصدره من كتب ونشرات تعد في مجموعها المرجع الرئيس للحزب، مما جعل الحزب يوصف بالصنمية والجمود على أفكار المؤسس.

للحزب شطحات منهجية تخالف صريح الكتاب والسنة، منها أن الحزب يغفل الأمور الروحية والتربوية إذ يقول: «ولا توجد في الإنسان أشواق روحية ونزعات جسدية، بل الإنسان فيه حاجات وغرائز لا بد من إشباعها»، ويقول: «فإذا أُشبعت هذه الحاجات العضوية والغرائز بنظام من عند الله كانت مسيَّرة بالروح، وإذا أُشبعت بدون نظام أو بنظام من عند غير الله كان إشباعاً مادياً يؤدي إلى شقاء الإنسان».

كما يحرّم الحزب على أعضائه الاعتقاد بعذاب القبر وبظهور المسيح الدجال، ومن يعتقد هذا في نظرهم يكون آثماً، ويرى الحزب إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الانشغال بذلك يعد من معوقات العمل المرحلي الآن!! فضلاً عن أن الأمر والنهي إنما هما من مهمات الدولة الإسلامية عندما تقوم.

يسمي الحزب الأقطارَ التي يعمل فيها باسم الولايات، ويقود التنظيم في كل ولاية لجنة خاصة به تسمى مجلس الولاية، على رأسها أمير يطلق عليه مسمى «معتمد»، ويتشكل المجلس القيادي أو مجلس الولاية من ٣ إلى ١٠ أعضاء، وتخضع مجالس الولايات لمجلس القيادة السري العالمي.

نرمي من خلال هذا المقال للتعرف أكثر على حزب التحرير بالسودان، وأبرز ملامح حركته، وأبرز قياداته، ورؤاه حول مجمل قضايا السودان الكبرى مثل الانفصال وقضية دارفور وغيرها.

حزب التحرير في السودان:

دخل حزب التحرير ووصلت أفكاره إلى السودان في عام ١٩٦٣م على يد طلاب سودانيين درسوا بالأزهر والتقوا هناك شباب حزب التحرير، ولكن لم يعرف نشاط للحزب إلا بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، وظل الحزب يعمل حتى انقلاب الرئيس الأسبق جعفر محمد نميري عام ١٩٦٩م وعارضه وواجهه منذ بدايته، وهو ما دفع النظام إلى اعتقال كل قيادات الحزب ولم يفرج عن بعضهم إلا بعد المصالحة الوطنية بين نظام نميري ومعارضيه في ١٩٧٧م.

وخلال فترة نظام النميري ضعُف الحزب جداً، وبعد المصالحة بدأ الحزب يلملم أطرافه من جديد، وظل يعمل حتى جاءت حكومة الإنقاذ الحالية في ١٩٨٩م، وقد عارض شباب حزب التحرير النظام الحالي، الذي اعتقل أعدادا كبيرة منهم، ومع ذلك ظل الحزب نشطاً رغم حل الأحزاب، وبعد إجازة قانون التوالي السياسي عقب إقرار دستور ١٩٩٨م،

(*) كاتب سوداني.

الـذي يتـيح للأحـزاب العمـل السـياسي السلمي، مـارس الحزب نشاطه من جديد.

علـى صـفحته الرسميـة علـى موقـع (فـيس بـوك) يُعـرِّف حـزب التحريـر - ولايـة السـودان نفسـه بأنـه حـزب سياسـي مبـدؤه الإسـلام، يعمـل لإقامـة دولـة الخلافـة، ويلاحـظ أنـه لـيس للحـزب أي خـصوصية فكريـة سـودانية باعتبـار المقـر والبلـد، فهـم يقولـون: «نحـن لا ننتمـي إلى السـودان، ولكننـا ننتمـي إلى الإسـلام وننتمـي للعقيـدة الإسـلامية ولا ننتمـي إلى تـراث»، ويقولـون أيـضاً: «مـن الطبيعـي أن يعمـل الإنـسان في المجـال والمكـان الـذي يوجـد بـه ويعـيش فيـه مـن خـلال الـدعوة للفكـرة الأساسـية للحـزب، ولكـن بـصورة عامـة للحـزب رأي في كـل مـسألة أو قضية في السودان».

فحـزب التحريـر في كـل العـالم واحـد، وهـو كيـان فكـري سياسـي، وبالتـالي مـا يتبنـاه شـباب حـزب التحريـر في السـودان، هـو نفـس مـا يتبنـاه شـباب الحـزب في أوروبـا أو في أي منطقـة مـن منـاطق العـالم. وللحـزب في كـل دولـة بهـا وجـود لـشباب ومنتـسبي حـزب التحريـر نـاطق رسمـي للحـزب في تلـك الدولـة، ولـيس لـه صـفة إدارية تتعلـق بـإدارة العمـل في ولايتـه (أي الدولـة)، ولكـن الـذى يـدير الحـزب في كـل ولايـة هـو مجلـس الولايـة، وهـو مجلـس يـتم اختيـار عـضويته بالانتخـاب مـن شـباب الولايـة، ومجلـس حـزب التحريـر في كـل دولـة لا يمثـل قيـادة جماعيـة، ولكـن علـى رأس هـذا المجلـس أمـير يطلـق عليـه اسـم «معتمد».

أمـا النـاطق الرسمـي لحـزب التحريـر فمهمّتـه إعلاميـة في الولايـة الموجـود فيهـا، وهـو الـذى يعـرض أعمـال الحـزب الـتي يقـوم بهـا في الولايـة للإعـلام؛ ولـذلك هـو الأظهـر، ويعتمـد الحـزب الـسرية الـشديدة في قياداتـه، فـلا يُعـرف حاليـاً مـن هـو «معتمـد» حـزب التحريـر بالـسودان، كـما أن المعتمـد الـذى هـو أمـير الحـزب في البلـد المعـني لا يتـولى قيـادة الجماعـة مـدى الحيـاة، بـل يُنتخـب كـل عـامين، أمـا النـاطق الرسمـي فـلا يُغيّـر إلا بالوفـاة أو الاسـتقالة أو الإعفـاء حـال عجزه عن القيام بالواجبات المطلوبة منه.

ومـن الواضـح أنـه لا توجـد طريقـة محـددة لاختيـار قيـادات حـزب التحريـر في الـدول، والـسودان منهـا، وإن كانـت هنـاك طريقـة فهـي سـرية، غـير معلنـة، ولكـن يبـدو أن القيـادات في مجلـس الدولـة المعنيـة تجتمـع، ويفـتح التـداول حـول المرشـحين للمنـصب المعـين، وبعـد نقـاش وتـشاور قـد يـستمر لأيـام، يـتم اختيار القيادي المعين.

مـن أبـرز قـادة الحـزب بالـسودان حـسن بـشير، ومحمـد يوسـف، وعلـى سـعيد وإبـراهيم عثمـان أبـو خليـل النـاطق الرسمـي باسـم الحـزب، وناصـر رضـا محمـد عثمـان رئـيس لجنـة الاتـصالات المركزيـة لحـزب التحريـر ولايـة الـسودان، وعـصام أتـيم منـسق لجنـة الاتـصالات المركزيـة للحـزب، وسـليمان الدسـيس عـضو المجلـس القيـادي، ومحيـي الـدين بخـاري أبـو بكـر عـضو المجلـس القيـادي، والبـشير أحمـد البـشير عـضو المجلـس القيـادي والمهنـدس محمـد هاشم عضو المجلس القيادي.

الجوانـب الفكريـة لحـزب التحريـر في السودان:

في الجوانـب الفكريـة ينطبـق علـى حـزب التحريـر في الـسودان مـا ينطبـق علـى غـيره في العـالم، ويـصنف بعـض الـسودانيين حـزب التحريـر بأنـه حـزب معـارض، إلا أن أدبياتـه ومنـشوراته تـشير إلى أنـه لا حكـومي ولا معـارض! ويـرى الحـزب أن الحكومـة والمعارضـة وجهـان لعملـة واحـدة، غـير أن لـه رؤى معلنـة وبلغـة حـادة حول كـثير مـن قـضايا الـساحة الـسياسية، يـأتي علـى رأس ذلـك تحفّظـه علـى اتفاقيـة جبـال النوبـة ٢٠٠٢م ومـا تبعهـا مـن دخـول قـوات أجنبيـة في تلـك المنطقـة، ثـم وقوفـه ضـد اتفـاق نيفاشـا للـسلام الـشامل ٢٠٠٥م، ورفـضه كـذلك للاسـتفتاء وفـصل الجنـوب عـن شمـال الـسودان، وانتقاداتـه لمـا يجـري ويـدور في

إقليم دارفور.

ويعتبر الحزب أن تقسيم السلطة والثروة وكأنها ملك للمعارضين والحاكمين أمر غير سليم باعتبار أن السلطة ليست مغنماً، إنما مسؤولية لخدمة الأمة.. وأن الثروة والمال العام ملك للأمة، كما أن الحاكم أو الوالي يجب انتخابه من قبل الأمة ليحكمها بالكتاب والسنة، وتتم محاسبته من قبل الشعب الذي وافق على اختياره.

يرى حزب التحرير أن نظام الحكم في البلاد حالياً لا يَحكم بالشرع الإسلامي، إنما هو نظام رأسمالي ديمقراطي لا علاقة له بالشريعة، كما إن تطبيقه لبعض الأحكام الشرعية لا يعطي النظام صبغة إسلامية بحسب رأى الحزب.

يرفض حزب التحرير دستور السودان لعام ٢٠٠٥م السائد حالياً بالبلاد، ويرى أنه دستور علماني، ولذلك لا يعمل الحزب من خلال هذا الدستور، ويرفض الحزب تسجيل نفسه رسمياً كما يحدد ذلك الدستور، لأنه لو سجل نفسه وفق الإجراءات المعتادة، يكون ذلك إقرارا بمبادئ الدستور والتزاما بمقرراته، ولكن حزب التحرير بالسودان أخطرَ المسئولين فقط، بمباشرته النشاط العام بخطاب للجهات الرسمية ذات الاختصاص، قال لهم فيه إن الحزب لا يلتزم إلا بالإسلام، ولا يلتزم بالدستور ولا بقانون تسجيل الأحزاب؛ لأنه يعمل على تغيير هذا الدستور وهذا القانون، وأن الحزب لا يستخدم وسائل مادية في تبليغ دعوته إلا قوة الفكرة بتبليغ الناس، ويوصف حزب التحرير بالسودان بأنه ليس حزبا براغماتياً يخضع للواقع ويتشكل معه كما تتشكل بعض الأحزاب، بل هم مجموعة من الناس تجمعوا وتكتلوا حول فكرة، وهذه الفكرة واضحة ويريدون إيجادها في الواقع، وأنه حزب لا يتلون ولا يتبدل حسب الواقع، بل يريد تغيير الواقع بالإسلام.

ويرى حزب التحرير كذلك أنه حتى ولو وافقت السلطات السودانية على تسجيل الحزب رسمياً وفق شروطهم، فإنهم لن يشاركوا في الانتخابات والتنافس النيابي، فالحزب يرى أن الانتخابات وسيلة لاختيار رجال للحكم على أساس الدستور والقانون الموجودين، وبالتالي دخول الانتخابات على هذا الأساس يعني قبول المبدأ الذي قام عليه الدستور، والحزب له موقف مبدئي، هو أن كل ذلك باطل، ولا يمكن أن يشارك في الباطل، فهو يرى أن العالم الغربي هو الذي يُسيّر كل الحكومات في العالم العربي بلا استثناء، وهو لن يسمح لحركة حقيقية تسعى لإقامة الإسلام أن تصل للحكم، مثل ما حدث مع حركة حماس رغم أنها وصلت للسلطة عن طريق الديمقراطية، وما حدث من قبل في الجزائر بحسب رأيهم.

يظهر مما سبق أن حزب التحرير يرفض كل شيء دون تقديم البديل، بل أحياناً دون تقديم سبب مقنع لهذا الرفض، كما تتسم مواقف الحزب الفكرية والحركية بعدم واقعيتها، وأنها غالباً مواقف عدمية ترفض كل شيء، ودون تقديم بديل، ولو على المستوى النظري.

رؤى الحزب حول بعض قضايا السودان:

لحزب التحرير بالسودان رؤى خاصة حول كل القضايا المطروحة على الساحة السودانية، ولا تطرأ قضية؛ إلا وترى لحزب التحرير بيانا حولها، ولكن ظلت لغة الحزب حادة وغير قابلة لأي توافق أو حلول وسطية، بل تطرح رؤى الحزب الخاصة مهما كانت مشتطة وغير منطقية، وغير واقعية، وغير مستساغة، ولا تقدم جديداً، بل هو مجرد الرفض لما هو مطروح. وفيما يلي رصد لبعض رؤى حزب التحرير بالسودان حول بعض القضايا المهمة بالبلاد:

١- رؤية الحزب لانفصال جنوب السودان:

يَعتبر حزب التحرير بالسودان أن جنوب السودان

هـي أرض «إسـلام» لا يمكـن بـأي حـال التنـازل عنهـا أو التفـريط فيهـا لأيـة جهـة، ويفسـر الحـزب ذلـك وطبقـاً لرؤيتـه مـصطلح الأرض في الفقـه الإسـلامي ويقـول: هـي أرض فتحهـا المسلمون أو حكموهـا ولـو لـساعة، فتـصبح أرضـاً خَراجيـة تابعـة للمـسلمين، لا يجـوز التنـازل عنهـا لأحـد أو لجهـة مـا، وتكـون رقبتهـا ملكـاً لبيـت مـال المسلمين إذا كـان هنـاك بيـت مـال، وتبقـى منفعتهـا لأهلـها كفـاراً كـانوا أو مـسلمين، وكـذلك الأمـر بالنـسبة للجنـوب مـن «الرنـك» وحتـى «نمـولي» فتحهـا العثمـانيون الأتـراك في عهـد محمـد علـي باشـا، ثـم حررهـا الإمـام المهدي، وحُكمـت بعـد الاسـتقلال مـن قبـل أبنـاء المـسلمين، ولـذلك فإنهـا أرض إسـلامية يعـد التنـازل عنهـا «جريمـة» باعتبارهـا ملكاً لكل المسلمين في العالم.

يَعتـبر حـزب التحريـر بالـسودان كـذلك أن إعـلان نتيجـة الاسـتفتاء في العـام ٢٠١١ والـذى قـضى بانفـصال جنـوب الـسودان، وقيـام دولتـه المـستقلة، كـان إيـذاناً بنجـاح الإدارة الأمريكيـة في عهـد الـرئيس الحـالي بـاراك أوبامـا، وبعـد مـؤامرات متواصـلة، في تقطيـع أوصـال الـسودان إلى جـزأين (كـسيحين) جنوبـه وشمالـه، وإنـشاء دويلـة ذات صـبغة نـصرانية، تـضاف إلى الأدوات الـتي سـتتكئ عليهـا هـذه الإمبراطوريـة العجـوز للهيمنـة علـى القـارة السمراء الغنية بثرواتها ومواردها.

وطـوال الـسنوات الماضـية، ومنـذ ظهـور حـزب التحريـر في الـسودان، لم يكـن لـه طـرح عملـي لتجـاوز مـشكلة جنـوب الـسودان، ولم يتقـدم بـأي مبـادرات لحـل المـشكلة، بـل لم يكـن لـه وجـود بـالجنوب كغـيره مـن الأحـزاب الـسودانية، فـالجنوب توجـد بـه كـل الأحـزاب الـسودانية، بـل وفيـه وجـود سـلفي مقـدر، كمـا ذكرنـا ذلـك في مقـال سـابق بمجلـة الراصـد، ولكـن ظـل حـزب التحريـر ظـاهرة صـوتية غليظـة، ولكـن لا تجـنح أبـداً لتقـديم حلـول عمليـة، أو تقـديم طروحـات تـسهم في حـل المُـشكل المعين.

٢- حـزب التحريـر والبرنـامج الإصـلاحي الاقتصادي في السودان:

خـلال نـدوة سياسـية بجامعـة أم درمـان الإسـلامية في مـارس ٢٠١٤ أعلـن الحـزب رفـضه الإصـلاحات الاقتـصادية التـى أجرتهـا الحكومـة وتمثلـت في رفـع الـدعم عـن بعـض الـسلع، في مقـدمتها الوقـود، ممـا نـتج عنـه تظـاهرات واحتجاجـات راح ضـحيتها العشرات.

حيـث رأى الحـزب أن الإصـلاحات الاقتـصادية المطروحـة مـا هـي إلا وصـفات مـن المنظمـات الدوليـة مثـل البنـك الـدولي وصـندوق النقـد الـدولي وهـي لـن تزيـد الـبلاد إلا خبـالاً ولـن تفلـح في وقـف تـدهور الاقتـصاد وتراجـع سـعر صـرف العملـة الوطنيـة، ويـرى الحـزب أن دعـم الحكومـة لـبعض الـسلع مثـل المحروقـات هـو محـض كـذب وتـضليل، وأن هـذه الإجـراءات الاقتصادية برفـع الـدعم وغـيره سـوف تزيـد النـاس معانـاة وضـنكاً فـوق الـذي هـم فيـه؛ وبخاصـة الفقـراء مـن النـاس، وزيـادة أسـعار المحروقـات سـوف تـأتي علـى رأس الفقـراء والمعـدومين؛ الـذين يـستهلكون الـسلع والخـدمات؛ فـصاحب أسـطول الباصـات أو الـشاحنات سـوف يـضع هـذه الزيـادة علـى سعر خدمة الترحيل التي يدفعها المستهلك.

وبعـد هـذا النقـد الطويـل، يظـل حـزب التحريـر في مواقفـه العدميـة، حيـث لم يقـدم مـن جديـد، أي طـرح أو عـلاج أو رؤيـة عمليـة مـن الحـزب للإصـلاح الاقتـصادي، كمـا لم يقـدم بـديلاً مناسـباً للإجـراءات الحكوميـة، واكتفـى باتهامهـا أنهـا وصـفات خارجية.

٣- رؤية حزب التحرير لأزمة دارفور:

يـرى الحـزب أن التفلتـات العـسكرية في كـثير مـن منـاطق دارفـور، والـدمار الـذي خلفتـه الحـرب منـذ انـدلاعها قبـل عـدة أعـوام، جعلـت ولايـات دارفـور

تعيش أحداثاً محزنة ومؤسفة؛ في مناطقها الشرقية، والغربية، وزادت الصراعات القبلية والتناحرات العشائرية في غياب سلطان الدولة والفوضى التي ضربت بأطنابها فأصبحت الجاهلية الأولى تطل برأسها لهذه البقعة من الأرض حيث يذبح الناس بعضهم كالشياه!

ويحمّل حزب التحرير الحكومة مسؤولية موت الأبرياء من نساء وأطفال وشيوخ لا حول لهم ولا قوة، ويصفها بغير المكترثة دوماً، ويرى أن الذي بذر بذور الفتنة القبلية هو الرأي العام الفاسد، من إرث التقاليد المقيتة والدستور السوداني الذي لا زال يكرر (السودان بلد متعدد الأعراق).

وفي رؤيته لحل مشكلة دارفور، يضع حزب التحرير حلاً للمشكلة، هو التشبث بفرض إقامة دولة الخلافة! وهو حل أشبه بانتظار الشيعة للإمام الغائب، فكل المسلمين يتوقون للخلافة الراشدة، ولكن هل طريق حزب التحرير لإقامتها هو الطريق القويم، الذي سيوصل في النهاية للخلافة؟

٤- رؤية حزب التحرير للإصلاح الشامل في السودان:

يرى الحزب أن خطاب الرئيس البشير الأخير؛ الذي أسماه بالوثبة للتحاور حول أربع ركائز أساسية هي: السلام والاقتصاد والحرية السياسية والهوية السودانية، ينبئ أن هناك صفقة تمت بين الحكومة والمعارضة، ظاهرها ما قيل عن إنهاء الصراع السياسي، بل والعسكري، وحل الضائقة الاقتصادية، والوصول إلى دستور متفق عليه. وباطنها وأصلها المضي قدماً في تنفيذ المخطط الأمريكي الرامي لتمزيق السودان.

ثم يدعو الحزب أهل السودان والمخلصين من أبنائه لعدم الوقوع فيما يسميه: فخ العبارات الرنانة ومعسول الكلام، ثم يحرر وصفته للحل من جديد وهي إقامة الخلافة الراشدة، بلا أي برنامج، أو رؤية علمية منهجية، منضبطة بالكتاب والسنة.

المراجع:

١- حزب التحرير، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

٢- صباح أحمد، حزب التحرير بالسودان.. «موضة» جديدة في عالم السياسة، مقال منشور بصحيفة الصحافة، الخرطوم، العدد (٦٢١٤) بتاريخ: ٢٠١٠/١١/٠١م.

٣- عوض خليل (أبو الفاتح)، الجذور التاريخية لمشكلة أبيي في السودان وتطورها، مقال منشور بمجلة الوعي، بيروت، العدد ٢٨٦، (عدد خاص بجنوب السودان)، أكتوبر ٢٠١٠م.

٤- محمد هاشم، أرض جنوب السودان أرض إسلامية ولا يحق لكائن من كان التنازل عنها، مقال منشور بمجلة الوعي، بيروت، العدد ٢٨٦ (عدد خاص بجنوب السودان)، أكتوبر ٢٠١٠م.

٥- وليد الطيب، حوار مع الناطق الرسمي لحزب التحرير بالسودان، منشور بموقع (الإسلاميون نت)، بتاريخ: ٢٠٠٩/٧/٢٦م، على الرابط:

http://islamyoon.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1248187341466&pagename=Islamyoun/IYALayout

إيران وأمن الخليج

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

هذا الكتاب هو تدوين لوقائع الحلقة النقاشية العشرين لمركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، وقد عقدت هذه الندوة في عام ٢٠٠٩ ونشر الكتاب في مطلع عام ٢٠١٠، وهو يقع في ٣٠٠ صفحة.

رأس الحلقة د. عمر الحسن، رئيس المركز، والذي حرر مجريات نقاش الحلقة أيضاً، وشارك في الندوة عدد من الأكاديميين المصريين، بينما لوحظ غياب الباحثين الخليجيين!

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية
Gulf Centre for Strategic Studies
مجلس الفكر العربي
قضايا عربية
٢٠
إيران وأمن الخليج
الحلقة النقاشية العشرون
٢٠١٠

الكتاب يحتوي على معلومات ورصد ووقائع كثيرة ومهمة لأي باحث ودارس للعلاقات الخليجية الإيرانية، لكنه للأسف لا ينسب الأقوال لمتحدث بعينه، وإنما يسرد مجمل ما دار دون تعيين، ويلاحظ على المشاركات والمداخلات التنوع في الموقف من إيران، فالبعض مدرك للخطر الإيراني ومنشئه الديني الشيعي، بينما البعض لا يهتم لهذا الجانب، بل هو منبهر بالتجربة الإيرانية ويراها (قدمت بالفعل نموذجاً في: التنمية، وتداول السلطة، والتقدم العلمي، وهي نماذج مفتقدة في العالم العربي) ص ٢٣٨!!

والكتاب جاء في سبعة فصول تناولت المحاور التالية:

١- السلوك الإيراني وأمن الخليج تعدد المؤشرات السلبية.
٢- محركات التهديد الإيراني لأمن الخليج.
٣- واقع العلاقات الإيرانية- الخليجية على المستوى السياسي والأمني.
٤- المستجدات الدولية والإقليمية وتداعياتها على أمن الخليج.
٥- ترتيبات الأمن رؤى وسياسات متباينة.
٦- إيران وأمن الخليج منظور اقتصادي.
٧- إيران وأمن الخليج رؤية مستقبلية.

يصعب في هذه المساحة المحدودة الإحاطة بمجمل محتويات الكتاب، ولذلك سوف نقف وقفات سريعة مع بعض الأفكار المهمة التي وردت سلباً أو إيجابا، مما يعطينا بعض الضوء على تعقيدات العلاقات الإيرانية الخليجية.

(*) كاتب أردني.

الوقفة الأولى: تفتقد دول الخليج لموقف موحد تجاه إيران، بينما موقف إيران موحد وإن تنوعت التعبيرات عنه بحسب التيار الذي في السلطة

وهذا التباين في مواقف الدول الخليجية تجاه التحديات والمطامع الإيرانية (ص ٦٠، ٩٩) هو ما يضعف موقفها تجاه إيران، ويقوى فرص إيران في عقد صفقة مع أمريكا على حساب دول الخليج، وسبب هذا التباين في المواقف إما المشاكل والتخوفات البينية بين دول الخليج، وإما بسبب العلاقات الاقتصادية مع إيران، وإما بسبب ارتباطات سياسية مع إيران.

الوقفة الثانية: خلل الرؤية العلمانية الخليجية للتهديد الإيراني

وتشكل مداخلات الحلقة مثالا ناصعا على هذا الخلل (ص ٧٧)، وذلك من خلال تهميش الدور الديني الشيعي في سياسات إيران، وإعلاء الدوافع الاقتصادية والأمنية، وأيضاً تحميل الأنظمة الخليجية مسؤولية توظيف مواطنيها الشيعة لصالح إيران، بسبب ضعف سياسات المواطنة.

وطالما بقيت القيادات الخليجية لا تفسر الدوافع الإيرانية بشكل صحيح سوف تبقى عاجزة عن التصدي للتهديدات الإيرانية، فإيران وعقيدتها الشيعية لا تقبل بأقل من السيطرة الكاملة على الخليج، ويكفي في ذلك السياسات الطائفية في العراق ومن قبل نوري المالكي رجل إيران، والغزو العسكري الحوثي لمحافظات اليمن.

وأما سياسات المواطنة فمع ضرورتها إلا أنها لا تنفع أبداً مع الطائفة الشيعية، والكويت والبحرين خير مثال على ذلك.

أحد المشاركين استدل بتصويت شيعة البحرين للاستقلال وعدم التبعية لإيران مطلع السبعينيات من القرن الماضي على كونه مثالا للوطنية! وهذا طبعاً بسبب غياب البعد الديني لتحليل الصراع الإيراني الداخلي بين الشاه المندفع لعلمنة المجتمع الإيراني والاقتداء بأتاتورك وبين الملالي الرافضين لهذا التوجه لما يضر بهم وبمصالحهم، وبسبب هذا الصراع نفى الشاه الخميني من طهران سنة ١٩٦٤، وقام بالتضييق على الملالي في تلك المرحلة، ولهذا قام المراجع بحثّ الشيعة على التصويت برفض التبعية لطهران، ليس حباً في البحرين، بل حباً في مصالح الملالي، ولذلك بعد بضع سنوات لم يصوت شيعة البحرين للانضمام لإيران، بل قادوا محاولة انقلاب مسلحة بعد الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م!!

الوقفة الثالثة: للأسف دول الخليج هي من تدعم الاقتصاد الإيراني

فبحسب الإحصائيات والأرقام (ص ١٧٢) فإن العلاقات الاقتصادية الإيرانية الخليجية قفزت من ١,٧ مليار دولار عام ٢٠٠٠، إلى ٨,٧ مليار دولار عام ٢٠٠٧! وذلك في ظل العقوبات الاقتصادية على إيران، ويا ليت هذا العصيان للعقوبات الأمريكية كان في باب يخدم قضايا الأمة ومصالحها الحقيقية!

الوقفة الرابعة: ما العمل إذا تصالحت إيران وأمريكا؟

للأسف ليس هناك رؤية لتقوية الذات بحيث إذا تحققت المصالحة لا تكون على حساب دول الخليج، بل كانت التوصية بـ (وإذا كان احتمال تحقق سيناريو المصالحة وشيكا، وعلى الرغم من أنه سيتم في غياب عربي كامل – حال حدوثه- إلا أنه ينبغي عربياً البحث عن طريق للتقارب مع إيران، وبناء جسور للتعاون معها) ص ٢٣٨ !!

وهكذا يتم القفز عن النقطة الجوهرية وهي أن ضعف وتشتت دول الخليج هو ما يقوي مطامع إيران في الخليج من جهة، وهو ما يرهن دول الخليج للغرب من جهة أخرى، وقد جاء الوقت الذي اتفق الطرفان فيه على الخليج، فلم يدر ما يصنع، وهذا كله بسبب خلل الرؤية العلمانية للتحدي الإيراني الشيعي، وغياب الرؤية الإسلامية السياسية الناضجة من جهة أخرى.

والخلاصة: يبدو أن أمتنا لا تزال بحاجة لوقت ليس بالقليل للوصول لتوافق فكري على حقيقة التحدي الإيراني وضرورة نبذ الخلافات البينية والتنازل للإخوة والجيران، بدلا من التنازل للأمريكان أو الإيرانيين.





ديمقراطية المخدرات!

قالوا: أول ما نجم عن احتلال أمريكا لأفغانستان هو تضاعف زراعة نبات الأفيون بصورة غير مسبوقة في أي منطقة في العالم! إذ تزايد إنتاجه حتى بات من الطبيعي رؤية زحف نبات الأفيون يفترش مساحات شاسعة على مدى البصر من الأرض الأفغانية.

ووفقا لتقرير صادر عن هيئة الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات والجريمة فإن زراعته تزايدت في المناطق الغربية والوسطى لأفغانستان، وتزايدت مساحات زراعته عن العام الماضي بنسبة ٣٦ ٪! ومن المعروف والثابت أن أيام طالبان تم منع زراعة الأفيون تماما، إلا أنه عاد ليفترش الأرض الأفغانية بتوحش مستمر مع الغزو الأمريكي وتوابعه وديمقراطيته.. فقد وصلت إنتاجية المحصول إلى خمسة آلاف وخمسمائة طن في العام بزيادة ٤٩ ٪ عن سنة ٢٠١٢.

موقع صحيفة صوت الأمة ٢٠١٤/٤/٣

الماركسيون آباء التطرف وداعش!

قالوا: كان لولع الماركسيين العرب بنظرية «حتمية العنف»، و«الثورة»، و«العمل السري» في التغيير السياسي والاجتماعي، أثر كبير وحاسم في منحاهم نحو البحث عما يعتبرونه «التجارب الثورية»، والجماعات «السياسية السرية» في التاريخ الإسلامي، مثل: القرامطة والخوارج وغيرهما، بصفتها «الجانب المضيء» في تاريخ الأمة، والذى جرى تهميشه من الفكر الإسلامي السلفي السني، الذي يعتمد على «ثقافة الطاعة» (بحسب زعمهم)، والعمل على إبرازها وإعادة الاعتبار لها، فشاركوا بلا وعي منهم فى إضفاء الشرعية على «الإرهاب السياسي»، والذى يمثله القرامطة في التراث الصراعي، فيما أعادوا إحياء «الفكر التكفيري» بتمجيدهم للخوارج، حيث استقت بعض التيارات في مصر على سبيل المثال مثل «جماعة المسلمين» والمعروفة إعلامياً وأمنياً باسم «التكفير والهجرة» بعض أصولهم في التصنيف الديني للمسلمين ما بين مسلم وكافر، والتصفية الجسدية لخصومها من المسلمين أيضاً، فضلاً عن إحياء فكرة «دار الهجرة» مجدداً على يد زعيمها شكري أحمد مصطفى، وهي ذات الفكرة التي أحياها من قبل القرامطة في الكوفة عام ٢٧٧ هـ على يد مؤسسها حمدان القرمطي.. ولذا لم تكن مصادفة أن تظهر «الجماعات التكفيرية» متزامنة مع علو كعب اليسار وقوة نفوذه في المجتمع والدولة منذ أوائل سبعينيات القرن الماضي.

المصريون ٢٠١٤/٤/١٣

مفتاح التعامل مع واشنطن!

قالوا: هناك منافسة جديدة بين الجمهوريين والديمقراطيين. بالإضافة إلى ذلك، هناك منافسة ثانية تجري داخل أحزاب الحزبين الجمهوري والديمقراطي. وعلى ما يبدو، فرغم الابتسامات والتقدير الذي يظهره بعضهم تجاه بعض، يعاني كلا الطرفين من انعدام الثقة في أنفسهم. وقد قال

هاري ترومان في السابق: إذا كنت في حاجة إلى صديق حقيقي في واشنطن، يجب عليك شراء كلب.

عطاء الله مهاجراني –

الشرق الأوسط ٢٠١٤/٤/٢١

يموت الزمار وأصابعه تلعب!

قالوا: وزارة الخارجية المصرية استدعت السفير مجتبى أماني، رئيس مكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة، عقب وصوله القاهرة بساعة واحدة بعد قدومه من راحة شهرية في طهران.

نوقش السفير الإيراني في ٤ قضايا مهمة وخطيرة وحساسة، أولها هو تورط دبلوماسي إيراني في مقابلة أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين لمناقشة أوضاع الجماعة بعد ٣٠ يونيو، كما منحه كتابًا شيعيًا للخميني، وهو الأمر الذى أثار حفيظة السفير الإيراني، وأنكر الواقعة بعنف وشدة، مؤكدًا أن إيران لا تتدخل في الشأن المصري على الإطلاق، لكن تم تحديد اسم المسئول الإيراني ورقم السيارة الدبلوماسية التي أقلت الدبلوماسي الإيراني إلى منزل القيادي الإخواني، وتحديد اسم الكتاب الذي منحه لعضو التنظيم!! أما القضية الثانية والتي أنكرها السفير الإيراني بحرارة وغضب، فقد تمثلت في قيام أعضاء السفارة الإيرانية بطهران بتوزيع بعض الكتب الشيعية للترويج للمذهب الشيعي في مصر وهو ما أنكره «أماني». أما القضية الثالثة، فقد تمثلت في تدخل إيران في الشأن المصري، أما القضية الرابعة فقد انحصرت في مناقشة مستقبل العلاقة بين القاهرة وطهران. وحول هذا الموضوع، قال «أماني» لـ «إسماعيل».. لو أنتم عاوزين تفتحوا العلاقات الصبح.. إحنا نفتح عندكم سفارة بعد الظهر!!

المصريون ٢٠١٤/٤/٢٢

ساسة إيران عملاء أو فاقدو شرف الخصومة!

قالوا: قال النائب البرلماني المتحدث باسم «لجنة المادة تسعين» البرلمانية في إيران مصطفى أفضلي فرد، إن ٥٥ شركة إيرانية متهمة بأنها على صلة مع شركات إسرائيلية، وطالب البرلمان وزارتي الأمن والخارجية الإيرانيتين بمتابعة الأمر.

وأضاف أفضلي فرد في تصريح لوكالة فارس الإيرانية للأنباء أن «جزءا من إيرادات هذه الشركات يذهب بشكل غير مباشر» إلى إسرائيل. وتابع النائب الإيراني أن «هذه الشركات الإيرانية كانت لديها صلات غير مباشرة وقامت بالتوقيع على (عقود) مع شركات تجارية إسرائيلية. ولهذا يجب أن يجري النظر في أمرها».

وقال الخبير الاقتصادي والأستاذ الجامعي في إيران سعيد ليلاز في تصريح لـ«الشرق الأوسط» أمس: «هذه التصريحات تحمل طابعا سياسيا وليس اقتصاديا، وليس جديدا إثارة هذا الأمر. وعلى السلطات الأمنية والقضائية إثبات تلك المزاعم». وأضاف: «ما من أحد في إيران على صلة مع الشركات الإسرائيلية على حد علمي. وإذا كان شخص من أصول يهودية يملك حصصا في شركة ما فهذا لا يدل على وجود صلة بينها وبين إسرائيل».

وأضاف ليلاز: «لا تطرح الحكومة هذه المزاعم، بل يسعى بعض الأشخاص إلى توجيه ضربة إلى حكومة الرئيس روحاني من خلال توجيه هذه الاتهامات. هؤلاء الأفراد هم الذين تضرروا بعد الانتخابات التي أدت إلى فوز روحاني بالرئاسة. شهدنا سابقا توجيه تهم لشركات مثل شركتي بينتون ونستله بالصلة مع إسرائيل. فلهذا يجب تحديد معايير الارتباط مع إسرائيل».

الشرق الوسط ٢٠١٤/٤/١٢

ليس وحده من يستحق الإبعاد!

قالوا: أصدرت وزارة الداخلية البحرينية أمس بيانا أعلنت فيه إبعاد حسين النجاتي، وكيل المرجع الشيعي في النجف علي السيستاني، المقيم في البحرين، بسبب شكوك في تحركاته واتهامه بجمع أموال للمرجعية دون تنسيق مع السلطات.

الشرق الأوسط ٢٠١٤/٤/٢٤

مشروع داعش: احتلال سوريا (القصة الكاملة)

مجاهد مأمون ديرانية – موقع نور سورية

عجب أنصارُ داعش الجاهلون بحقيقتها من بركان الغضب الذي انفجر في سوريا ضدها، فإنهم لم يعلموا من الحقيقة إلا ما أرادته لهم داعش أن يعلموا، وما يزالون يحسنون الظن بها فيحسبون أنها جماعة مجاهدة جاءت إلى سوريا للمساعدة في تحريرها من الاحتلال النصيري.

ما علموا أنها جاءت لتحتل البلاد وتنشئ فيها مشروعها المشبوه، وأنها لا تختلف عن النظام إلا بالاسم والشعار، فهي قوة احتلال كما أن النظام قوة احتلال، ومشروعها هو ابتلاع سوريا وإخضاع السوريين كما أن مشروع النظام هو ابتلاع سوريا وإخضاع السوريين، سواء بسواء.

عندما وصلت داعش إلى سوريا كان السوريون قد أمضوا في الجهاد سنتين تمكنوا خلالهما من تحرير ثلثي الأرض السورية، وكان ينبغي أن تضع داعش اليدَ في اليد وترصّ الصفوفَ مع الصفوف فتساعد على تحرير الثلث الثالث، وهو الأصعب لأن النظام سحب صفوة قواته إليه وركزها فيه، ولكنها لم تفعل.

لقد تجنبت داعش المواقعَ والمدن التي يحتلها ويحاصرها النظام وبدأت بالالتفاف على المجاهدين من الخلف؛ عملت على إعادة احتلال المناطق المحررة بخطة منهجية، مستغلّةً حسنَ ظن السورين بها وتورعهم عن الاشتباك معها، فنجحت في اجتياح واحتلال قسم كبير من الأراضي المحررة خلال أربعة أشهر، وكادت تبتلعها كلها لولا أن الله أراد بسوريا والسوريين خيراً، فثَمّ كان الانفجار.

هذه المقالة تسرد الحكاية الكاملة لمحاولة داعش احتلال سوريا، وهي موجَّهة إلى ثلاثة أنواع من الناس:

إلى المجاهدين الذين عرفوا حقيقة داعش وتحققوا من بغيها وعدوانها فقاتلوها قتال البغاة المعتدين، لكي يعلموا أنهم على حق ويَثْبُتوا في مواقعهم حتى يكفّ البغاة عن بغيهم ويتوقفوا عن عدوانهم ويفيئوا إلى حكم الله.

وإلى المجاهدين الذين اعتزلوا القتال وتركوا إخوانهم وحيدين في الميدان، ليعلموا أنهم مقصّرون آثمون بالخذلان، وأنهم الهدف القادم للبغاة المعتدين، وأنهم لا مناصَ لهم من نصرة إخوانهم حتى لا تتكرر مأساة الثورة الأبيض التي ما تزال تتكرر في تاريخنا بلا توقف منذ دهر طويل.

وإلى جماعات من الناس - من السوريين ومن غير السورين- ما يزالون غافلين عن خطر مشروع داعش على الثورة السورية وعلى جهاد أهل الشام، عسى أن تتكشف لهم الحقيقة ويظهر الحق ويَبطل سحرُ السحَرة والمشعوذين.

لن أبدأ الحكاية من سوريا قبل شهور، سأبدؤها من الهند قبل قرون. هل تعرفون كيف احتلت بريطانيا القارةَ الهندية؟

لقد احتلتها بطريقة عجيبة تشبه إلى حد بعيد الطريقة التي اتبعتها داعش في احتلال سوريا.

لم تعلن الحرب ولم تسيّر الأساطيل ولم ترسل الجيوش، بل فتحت شركة تجارية، ثم تمددت الشركةُ حتى أكلت الهندَ كلها!

أسس الإنكليز في مطلع القرن السابع عشر شركة تجارية اسمها «شركة الهند الشرقية» وحصلوا على إذن من إمبراطور الهند بافتتاح مركز لها في ميناء سورت في الكُجُرات، ثم حصلوا على تراخيص بفتح فروع للشركة في عدة موانئ أخرى، ثم في مدن داخل البلاد، وما زالت تلك «الشركة» تتوسع وتنتشر حتى غطت مراكزُها القارةَ الهندية كلها.

تحولت الشركة ببطء وخبث شديدَين من كيان تجاري إلى كيان سياسي عسكري، وبدأت بالتدخل في السياسة المحلية في الأقاليم واستغلال النزاعات المحلية بين الأمراء، ثم تدخلت في سياسة الإمبراطورية نفسها، وأسست جيشاً حاربت به الهولنديين والفرنسيين الذين كانوا ينافسون بريطانيا على النفوذ في بلدان الشرق، ثم حاربت جيوشَ الإمبراطورية وكسرتها واحتلت الهند كلها.

إن ما صنعته شاهش (شركة الهند الشرقية) قبل قرون يشبه ما صنعته داعش مؤخراً: احتلالٌ بالمكر والغدر والخديعة وباستغلال طيبة الطرف الآخر وسذاجته.

جاء القوم إلى سوريا زاعمين أنهم لا يريدون شيئاً سوى مساعدة أهلها المساكين، ففتح لهم السوريون أبواب البلاد. كان ينبغي أن يذهبوا إلى الجبهات لقتال العدو، ولكنهم تركوها وذهبوا إلى القرى والبلدات المحرَّرة فاشتغلوا بإلقاء الخطب وتوزيع المطويّات وتنظيم المهرجانات والاحتفالات! ثم قالوا: نحتاج إلى مقرّات، فوهبهم الناس بيوتاً سكنوها واتخذوا منها مقرّات.

ثم بدؤوا يقيمون حواجز داخل المدن وفي مداخلها وعلى الطرق التي تصل بينها، وما لبثوا أن بدؤوا يضايقون الناس فيتدخلون في حياتهم ويفرضون ما يشاؤون من القوانين ويتعقبون من يخالفهم بالاعتقال والاغتيال، ثم سَفَروا اللثام عن الوجه القبيح فبدؤوا بقتال الكتائب المحلية، وراحوا يطاردون الإدارات المدنية والمنظمات الإغاثية والطبية والإعلامية، وكلما أحكموا سيطرتهم على منطقة انتقلوا إلى المنطقة التي بعدها، فما مضت عليهم خمسة أشهر إلا وقد احتلوا مئات المواقع (المحرَّرة) في شرق وشمال البلاد، وبدؤوا بالزحف على الوسط والجنوب.

الخطأ الأكبر الذي يرتكبه المدافعون عن داعش هو أنهم يحسبونها فصيلاً من الفصائل التي تقاتل النظام لتحرير سوريا، وبسبب هذا الوهم فإنهم ما يزالون يرددون تلك الجملة التي حفظناها غيباً: يجب أن تتحدوا الآن لقتال النظام وتحرير سوريا، وبعدها لكل حادثة حديث.

لا يا سادة، لا يصلح أن نستمع إلى نصيحتكم لأنكم لا تعرفون الحقيقة. إن داعش لم تأت إلى سوريا لقتال النظام وتحرير سوريا، لقد جاءت داعش إلى سوريا بمشروع، ولئن بدا لكم أن مشروعها هو مشروع الثورة نفسه فإنكم واهمون، فإنها لا تبالي بالأسد ولا بنظامه ولا باستقلال سوريا وتحرير السوريين من الأسْر والعذاب .

بل إن هذه المصطلحات ذاتها لا تعني لها أي شيء، فما معنى الكرامة والحرية وما قيمة الشعب السوري وأي أهمية لحريته واستقلاله؟ إن لداعش مشروعاً واحداً لم تفكر في غيره منذ وطئت أرضَ الشام.

إنها تريد «دولة»، وبما أن الأرض الواحدة لا تتسع لدولتين فإن المشكلة لا يمكن حلها إلا بأن يتنازل الفريق الآخر (الشعب السوري) عن مشروع دولته طوعاً أو كرهاً. طوعاً بالخداع والتمويه

واستغلال شعارات الإسلام، أو كرهاً بالبارود والنار.

الأسلوب الأول لم ينجح إلا مع أقلية لا وزن لها، وسرعان ما أدركت داعش أن الإكراه هو الأسلوب الوحيد الذي يوصل إلى الغاية، فبدأت بالحرب.

عندما وصلت داعش إلى سوريا كان السوريون قد أمضوا في ثورتهم سنتين، وقد حرروا قسماً كبيراً من الأرض السورية وأقاموا عليه إدارات مدنية وعسكرية بديلة عن النظام، فلم يكن لداعش بُدٌّ من اختيار واحدة من ثلاث:

إما أن تستسلم وتتخلى عن مشروعها، أو تنطلق إلى الأراضي غير المحررة فتحررها وتقيم عليها مشروعها، أو تحتل الأراضي المحررة لتحقيق ذلك الهدف. لم ترد داعش أن تتخلى عن المشروع، ولم تكن مواجهةُ النظام خياراً مطروحاً لأن القدرات العسكرية التي تملكها داعش أقل منه بكثير (وربما لأسباب أخرى يعلمها الله)، فاختارت الحل الثالث .

إذا أراد المرء أن يقيم بناء على أرض فإن الأرض ينبغي أن تكون خالية من البناء، ولو كانت معمورة فإن أول ما يبدأ به هو إزالة البنيان القديم، وهذا ما صنعته داعش. بدأت بعملية «تجريف» منظمة لاجتثاث البناء الثوري - العسكري والمدني- الذي أنشأه الثوار في المناطق المحررة خلال عامين، فاغتالت واختطفت عدداً من القادة وهاجمت الكتائب الصغيرة وقضت على كثير منها، ولاحقت واعتقلت كثيراً من الإعلاميين ودمرت كثيراً من المؤسسات الإعلامية الثورية، وضايقت الأطباء والإغاثيين واعتقلت وقتلت عدداً منهم، ونجحت في إعاقة أعمال المنظمات الإغاثية في مناطق عدة وفي تخريب وإقفال عدد من المستشفيات الرئيسية والمشافي الميدانية، واصطدمت مع الهيئات الشرعية وطاردت واعتقلت كثيراً من الدعاة والقضاة والمحامين.

بالنتيجة تفكك البنيان الثوري في المناطق التي احتلتها داعش، وامتلأ الجنوب التركي بآلاف من أحرار سوريا الذين فضّلوا الانسحاب من الميدان الثوري على التعرض للقتل أو الملاحقة والاعتقال والإهانة والتعذيب في سجون دولة البغدادي، التي شهد المجرّبون العارفون بأنها لا تقل سوءاً عن سجون النظام السوري.

سأعود قليلاً إلى الوراء، إلى بداية الرواية، في التاسع من نيسان ٢٠١٣ بثّت شبكة «شموخ الإسلام» رسالة صوتية أعلن فيها البغدادي جمع «جبهة النصرة» وتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق» في تنظيم جديد باسم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (الذي عُرف بعد ذلك بالاسم المختصر «داعش»)، في اليوم التالي أصدر أمير النصرة الجولاني بياناً صوتياً ردّ فيه على البغدادي وأصرّ على فصل «النصرة» عن «دولة العراق» رافضاً الدمج المقترَح، أما الظواهري فقد كان رد فعله بطيئاً جداً ومتأخراً عن مواكبة الأحداث، فأصدر بياناً بعد شهرين (٦/٩) بحلّ الدولة وبقاء الأمور على ما كانت عليه.

لم يكن البغدادي كالظواهري بل كان ردّه سريعاً، فقد أصدر بعد ستة أيام (٢٠١٣/٦/١٥) كلمة يقول فيها: «الدولة الإسلامية في العراق والشام باقية ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف، ولن نساوم عنها حتى يظهرها الله تعالى أو نهلك دونها». علّق كثير من الكتّاب على كلمة البغدادي تلك بما شاء الله لهم من الدَّرْس والتحليل، أما أنا فإنني أعتبرها «إعلان حرب» على السوريين ومسوَّدة «مشروع احتلال سوريا».

وقع الانشقاق المتوقع في صفوف النصرة فانحاز نحو ثلثي مقاتليها إلى التنظيم الجديد، ويبدو أن غالبية المقاتلين غير السوريين (الذين يُدعَون مجازاً «المهاجرين») كانوا من ذلك الفريق، بالإضافة إلى العناصر الأكثر غُلوّاً من السوريين، وبدؤوا على الفور بمهاجمة مقرات ومستودعات جبهة النصرة فاستولوا على قسم كبير منها.

في الشهر التالي انتقل البغدادي إلى سوريا، فنشر دعاته في المعسكرات والجبهات وبدأ بتوسيع التنظيم وجمع البيعات وشراء وتكديس السلاح. كانت الأموال كثيرة، كثيرة جداً، ولم يسأل أحدٌ من أين تأتي، وراحت داعش تشتري كل سلاح في الأسواق مهما غلا الثمن، من «الروسيّة» إلى الدبّابة، مما تسبب في ندرة الأسلحة وارتفاع أسعارها، فعجزت كثير من الجماعات المقاتلة الأخرى عن شرائها وتعطل القتال في كثير من الجبهات. تدفق المقاتلون من وراء الحدود فدخل آلاف منهم إلى سوريا قادمين من العراق أو منتقلين عبر الأراضي التركية، وفيما كان الثوار منشغلين بالمعركة الحاسمة مع النظام في عمق البلاد، من حلب شمالاً إلى درعا في الجنوب، كانت داعش منهمكة في بناء قاعدتها الصُّلبة في المحافظتين الشرقيتين البعيدتين، الرقة ودير الزور، فنجحت خلال ثلاثة أشهر في إنشاء قوة ضاربة تتكون من عدة آلاف من المقاتلين المزودين بكميات كبيرة من الأسلحة.

في أيلول ٢٠١٣ كانت حمص قد دخلت في الشهر السادس عشر من شهور الحصار، وكان ينبغي على البغدادي أن يرسل جيشه من الدير والرقة باتجاه الغرب - إلى السخنة وتدمر وصولاً إلى ريف حمص الشرقي- لتحرير حمص وفك الحصار، ولكنه لم يفعل.

بدلاً من ذلك قامت داعش بغزو مدينتَي الرقة والطبقة واحتلتهما عَنوةً، ثم انتشرت في أكثر مناطق ريف الرقة فأعادت احتلال المناطق التي حررها الثوار قبل ذلك بستة أشهر. والغريب أن داعش احتلت ما سبق تحريره من المدن والأرياف، ولكنها لم تقترب من المناطق الثلاث التي بقيت في يد النظام منذ تحرير الرقة: مطار الطبقة والفرقة ١٧ واللواء ٩٣. لماذا؟ ما أكثرَ الأسئلةَ التي تبحث عن جواب!

خلال أسابيع قليلة أحكمت داعش سيطرتها على محافظة الرقة التي صارت قاعدتَها الرئيسية في الشرق، ثم بدأت بالانتشار في الحسة ودير الزور، فخاضت مواجهات عنيفة مع الأكراد ومع كتائب الجيش الحر الكثيرة التي توجد في تلك المناطق واحتلت مساحات واسعة من أراضي المحافظتين، ولا سيما محافظة دير الزور التي صارت ولاية من ولايات «الدولة» المزعومة.

بعد ذلك بدأ اجتياح محافظتَي حلب وإدلب. استولت داعش على جرابلس والباب وعززت وجودها في منبج وإخترين وتل رفعت وحريتان ورتيان ودارة عزة، وحاولت احتلال مارع وعندان، ثم افتعلت حرباً مع عاصفة الشمال انتهت بالسيطرة على إعزاز.

وهكذا نجحت خلال عدة أشهر في احتلال أجزاء واسعة من الريف الشرقي والريف الشمالي لمدينة حلب، بالإضافة إلى سيطرتها على عدة أحياء في القسم المحرَّر من مدينة حلب نفسها. في الوقت نفسه كانت داعش تتمدد في الريف الإدلبي، فقد نجحت في احتلال الدانا وسلقين وسراقب وحارم وأورم، وهاجمت حزّانو وباتبو وعزّزت وجودها في بنّش وكللي، واتجهت أخيراً إلى واحد من أهم المعابر الحدودية وأكثرها حيوية للثورة، باب الهوى. فشلت محاولة داعش للسيطرة على المعبر فارتدّت إلى الخلف واحتلّت أقرب البلدات السورية إليه، سرمدا.

وهكذا اتصلت منطقة سيطرة داعش من الدانة إلى سرمدا وصارت الأتارب هي الهدف التالي، فتحركت أرتال داعش من حريتان لاقتحامها. الملاحظ أن بلدتَي الأعداء، نُبّل والزهراء، كانتا أقربَ بكثير إلى حريتان وأَولى بالحرب من الأتارب، البلدة المُسلمة التي يرابط فيها لواء أمجاد الإسلام، فلماذا تركتهما داعش في أمان وبدأت بقصف الأتارب بالمدفعية الثقيلة؟

الجواب الذي صار يعرفه عامة أهل سوريا

بعد كل الذي كان: لأن داعش لم تنشأ لقتال الأعداء بل لقتال المجاهدين، ولم توجد لتحرير سوريا بل لإعادة احتلال المحرَّر من أراضيها.

حاربت داعش بذكاء ودهاء، فأما الدهاء فإنه يذكّرنا بأساليب جيوش الاستعمار التي غزت بلادنا في القرن الماضي، وكان سلاحها الأمضى هو الكذب والغدر والمكر والخديعة، وكذلك صنعت داعش في سوريا.

وأما الذكاء فإنه يظهر في الإستراتيجية العسكرية التي اتبعتها في القتال، فبما أن القوة التي تملكها ليست كبيرة مقارَنةً بما يملكه خصومُها من عدد وعدة فقد أنشأت إستراتيجيتها الحربية على تجنب إهدار مواردها البشرية والمادية، وذلك بالتوسع على حساب الأراضي المحررة وتجنب الصدام مع النظام. وقد توصلَت داعش إلى تحقيق تلك الإستراتيجية الخبيثة بعدد من الأساليب (التكتيكات) التي كان أهمها :

التسلل عبر الثغرات الضعيفة وتجنب الاشتباك مع الأطراف القوية، واستغلال نفسيات المجاهدين المتسامحة ونفورهم من الاشتباك مع جماعة تدّعي الجهاد وتقاتل تحت راية التوحيد، واستثمار تقصير الكتائب الأخرى وعجزها عن محاربة لصوص الثورة، وأخيراً وقبل ذلك كله وبعده: استعمال أساليب يعجز خصومُها من المجاهدين عن الردّ بمثلها، أساليب تنطوي على كثير من الكذب والغدر والخيانة والخداع.

كانت الإستراتيجية العامة التي اتبعتها داعش لاحتلال سوريا هي التوسع على حساب المناطق المحرَّرة وتجنب الصدام مع النظام، لأن تلك هي أسهل وأسرع الطرق للحصول على الأرض التي تحتاج إليها لتقيم عليها مشروع الدولة الموهومة.

لقد صار عُدوان داعش على سوريا و«احتلال المناطق المحررة» أمراً مشهوراً متواتراً يعرفه القاصي والداني، ولكن كثيرين من أنصارها المسحورين بباطلها ما يزالون يجادلون في الشق الثاني من المتلازمة المشؤومة، «تجنب الحرب مع النظام»، ويطلبون الدليل. لو شئتُ أن أبسط الدليل بالتفاصيل والأسماء والتواريخ لتضاعف حجم المقالة عشرة أضعاف، لذلك أكتفي بوصف إجمالي من شأنه أن يفضح أكبر خدعة خدعت بها داعش عامةَ السوريين، حينما أوهمتهم بأنها تقاتل نظام الاحتلال النصيري الأسدي وتساعد على تحرير الأرض السورية من الاحتلال.

عندما استكملت داعش بناء قوتها العسكرية كان الجزء الأهم من سوريا تحت سيطرة النظام (وما يزال): العاصمة والساحل، وأجزاء مهمة من محافظتَي حمص وحماة، ومطارات وقواعد عسكرية كثيرة منثورة في جميع المحافظات. كان ينبغي على داعش أن تستثمر قوتها العسكرية في تحرير تلك المناطق، ولكن العكس تماماً هو الذي حصل؛ تركت داعش المناطق المحتلة وبدأت باحتلال المناطق المحررة.

كانت في الرقة ثلاث «بؤر» للنظام (مطار الطبقة والفرقة ١٧ واللواء ٩٣) تركتها داعش واحتلت بقية مناطق المحافظة بمدنها وقراها جميعاً. وفي دير الزور تركت المطار الذي يسيطر عليه النظام وتجاهلت أحياءَ المدينة التي يحتلها وانشغلت باحتلال الجزء المحرَّر منها، كما انتشرت عبر مدن وريف المحافظة المحررة أصلاً. وفي إدلب تركت جسر الشغور المحتلّة التي تربط المناطق المحررة بالساحل وتُعتبَر أهم عقدة مواصلات في المحافظة (أو ثاني أهم عقدة بعد سراقب) واحتلت مساحات واسعة في الريف الشمالي، ثم بدأت بالتمدد عبر الريف الجنوبي مؤخراً.

أما في حمص وحماة فقد تركت داعش مدينةَ حمص المحاصرة والريف الغربي لحمص وحماة، وهما منطقتان منكوبتان تعيشان تحت تهديد مليشيات القرى النصيرية والشيعية المجاورة، وبدأت بالتمدد عبر الريف الشرقي المحرَّر، وكانت على وشك تنفيذ عملية غزو واسعة على مدينة

السلمية وقراها قبل يوم واحد من اندلاع الاشتباكات الأخيرة مع جيش المجاهدين. وفي حلب تركت داعش الريفَ الجنوبي الذي يسيطر النظامُ على الجزء الأكبر منه والذي يتيح له التحكم في طريق دمشق حلب الدولي، وهاجمت واحتلت الريف الشرقي، ثم الريف الشمالي، ثم بدأت أخيراً بغزو الريف الغربي، وكلها مناطق سبق للثوار تحريرُها منذ أواخر سنة الثورة الثانية.

والغريب أنها حرصت على احتلال الريف الشمالي بأكمله، بما فيه المعابر الحدودية مع تركيا، ومع ذلك فقد تركت قريتَي الأعداء، نُبّل والزهراء، رغم أنهما تقعان بين اثنتين من قواعدها المهمة: مطار منّغ في الشمال وحريتان وعندان في الجنوب. تركتهما داعش وهما على بعد كيلومترات قليلة من قواعدها وساقت الأرتال من تلك القواعد لغزو الأتارب البعيدة في الغرب. لماذا صنعت ذلك؟ ولماذا تركت كل ما سبق ذكره من مناطق محتلة واحتلت الأراضي المحررة؟ لو عثرنا على الجواب فسوف نحل قطعة مهمة من الأحجية.

نجحت داعش في تطبيق إستراتيجيتها القائمة على احتلال الأراضي المحررة باستعمال عدد من الأساليب (التكتيكات)، كان أهمّها اختراق «الخواصر الرخوة» في الجسم العسكري الثوري وعدم إهدار مواردها البشرية المحدودة في معارك جانبية مع الأقوياء. في تشرين الأول الماضي فقدت داعش طريق الشمال الواصل من الرقة إلى ريف حلب الشرقي عبر عين عيسى بعد معارك طاحنة خاضتها مع عشيرة الفدعان (وهي فرع من قبائل عنزة) بين تل السمن وعين عيسى.

وبما أنها لا تستغني عن ربط قاعدتها في الرقة بمناطق نفوذها في الريف الحلبي، وحيث إن السيطرة على الطريق الشمالي كانت صعبة بسبب وقوعه في مناطق نفوذ الفدعان، فقد قررت داعش السيطرة على الطريق الجنوبي الذي يصل الرقة بالريف الحلبي الشرقي عبر مسكنة، وكان ذلك هو السبب في غزو مسكنة والاشتباك مع أحرار الشام.

لقد تركت داعش الطريق الشمالي واختارت المرور عبر مسكنة التي تسيطر عليها حركة أحرار الشام تطبيقاً لقاعدة «التسلل عبر الخواصر الرخوة»، والخواصر الرخوة عندها هي الكتائب والجماعات التي لا تطيق المواجهة المباشرة لواحد من سببين: إما لأن عدد مقاتليها قليل وقدرتها القتالية ضعيفة، أو لأن تكوينها الفكري يمنع مقاتليها من الاشتباك مع مَن يعتبرونهم إخوةً في المنهج والجهاد.

السبب الأول: يفسر استهداف داعش للكتائب الصغيرة المستقلة، فهي لا تبلغ من الحجم ما يتيح لها الدفاع عن النفس ولا ترتبط بكيانات كبيرة يمكن أن تدافع عنها، ومن ثَمّ فلا يوجد أي رادع يمكن أن يُضعف من شهية داعش لابتلاعها. لقد استطاعت داعش فعلاً أن تبتلع عشرات من تلك الكتائب في أقل من ثلاثة أشهر، كما أنها حطمت عشرات أخرى من الكتائب الصغيرة التي لم يعد لها وجود بعدما ترك مقاتلوها السلاحَ وعادوا إلى بيوتهم، أو انسحبوا إلى تركيا فراراً من البطش الداعشي الذي لاحق كثيراً من القادة والمقاتلين.

أما السبب الثاني: فإنه يفسر استهداف داعش المستمر لحركة أحرار الشام، فهي المتضرر الأكبر من العدوان الداعشي ولكنها - في الوقت ذاته- أقل ضحايا داعش دفاعاً عن النفس ورداً للعدوان. لقد راهنت داعش على أن قيادة الأحرار لن تستطيع قتالها لأن كثيرين من مقاتلي الأحرار ينتمون فكرياً إلى المدرسة السلفية الجهادية، وهي المدرسة ذاتها التي تعود إليها جذور المنهج الداعشي، ويبدو أنها قد نجحت في الرهان. إن قيادة الأحرار تواجه خياراً صعباً في هذه الأيام، فلو أنها قررت الدفاع عن النفس والمشاركة العلنية في الحرب ضد داعش فسوف تخسر جزءاً من جسمها العسكري الذي يُتوقَّع أن ينشقّ وينحاز إلى الدولة

أو يقف على الحياد، أما لو صمّمت على اتخاذ موقف مهادن وثابرت على التمسك بالحياد الظاهر وعدم رد العدوان فالأرجح أن تخسر الكثير وأن تكون أكبر ضحايا البغي الداعشي.

ثاني أهم تكتيكات داعش التي توصلت بها إلى تطبيق إستراتيجيتها المذكورة هي استغلال حالة الفوضى التي نشأت في بعض المناطق المحررة، والظهور بمظهر المُنقذ الذي يقدم أفضلَ البدائل عن فصائل المجاهدين التي عجزت عن توفير الأمن وفشلت في ردع عصابات اللصوص وقطّاع الطرق.

عندما شُغلت الكتائب المجاهدة المخلصة بقتال النظام اضطرت إلى التغاضي عن مجموعات اللصوص التي انتشرت في كثير من المناطق المحررة وأحالت حياة الناس إلى كابوس. لقد كثرت الأصوات المنادية بالتفرغ لقتال تلك العصابات وتخليص الناس من شرّها وأذاها ولو تسبب ذلك في وقف القتال مع النظام لبعض الوقت، ولكن النداءات الكثيرة ذهبت أدراج الرياح، حتى جاءت داعش فصنعت ما كان ينبغي على الجماعات المجاهدة أن تصنعه، فلاحقت اللصوص وقضت عليهم وأراحت منهم الناس، فكسبت رضاهم وحظيت بتأييدهم ممّا ساعدها على تكريس وجودها في بعض المناطق، فلما أدرك الناس أنهم قايضوا الأمن بالحرية والكرامة وأرادوا استرجاع ما فقدوه منهما كان الأوان قد فات، فقد ضربت داعش جذورها عميقة في الأرض وصار اقتلاعها من الأمور العسيرة.

لعل هذا الدرس من أبلغ ما ينبغي على المجاهدين أن يفهموه، فإن الناس لا يستطيعون الحياة إذا فقدوا الأمان وإذا تسلطت عليهم عصابات اللصوص، ولو أنهم عجزوا عن الصمود فإن حاضنة الثورة سوف تنهار وسيخسر المجاهدون العمق الشعبي اللازم لوجودهم. من أجل ذلك يتوجب على الجماعات المجاهدة، وعلى الجبهة الإسلامية بشكل خاص، أن تكرّس قوتها لمحاربة اللصوص والقضاء على كتائبهم وعصاباتهم، ولتعلم أن قتال أولئك الفاسدين المفسدين مقدَّمٌ على قتال النظام وأن الانتصار عليهم هو الطريق إلى الانتصار عليه.

استعانت داعش - في حملتها لتحرير المناطق المحرّرة- بعامل مهم جداً، وهو «الفكر الداعشي» الذي يحمله مقاتلوها، فالقتال عندهم مؤسَّس على تصنيف الخصم من حيث الديانة والاعتقاد لا من حيث علاقته بالثورة أو النظام، والكفّار هدف مشروع للقتال لأنهم كفار وليس بسبب أفعالهم، ولذلك نجد أن حرصهم على قتل النصيريين والرافضة والكفار أكبر من حرصهم على تحرير سوريا وتخليص السوريين من الأسْر والعذاب.

وحسب تصنيفهم فإن قتال المرتدين مقدَّم على قتال الكفار، وهذا يفسر ما يشاهَد من شدتهم على مخالفيهم من الفصائل الجهادية الأخرى، فإنها شدة لا نكاد نلاحظها على النظام نفسه، لأنهم لُقِّنوا أن تلك الجماعات مرتدة وأنها صحوات صُنِعت على عين الغرب لقتالهم والقضاء على مشروع «دولة التوحيد» التي يقاتلون من أجلها كما يظنون. إن الخطر العظيم الذي ينشأ عن تلك العقيدة هو سهولة تحويل جيش داعش إلى جيش من القَتَلة بمجرد إقناعهم بأن الخصم كافر أو مرتد، وما أسهلَ ذلك على عقول سلّم أصحابُها قيادَها لأمرائهم وعزلوها عن التلقي من غيرهم، فإن قيل لهم إن أحرار الشام وصقور الشام وجيش الإسلام صحوات فإنهم يتحولون في طرفة عين إلى أعداء يتقربون إلى الله بقتالهم وقتلهم، وإذا أراد قادتهم احتلال قرية من القرى التي تسيطر عليها بعض الكتائب الأخرى فما عليهم إلا أن يخبروهم بأنهم ذاهبون إلى قرى النصيرية والرافضة، وقد تواترت الروايات بحصول ذلك في كثير من الغزوات التي شنّتها داعش على المدن والقرى المحررة.

يمكننا أن نعزو جزءاً كبيراً من نجاح داعش العسكري وتمددها السريع إلى

الأساليب السابقة، غير أن العامل الأهم وسبب نجاحها الأكبر هو «المنظومة الأخلاقية» التي يحملها مشروعها، فقد نجحت في احتلال مناطق واسعة في سوريا لأنها استعملت أساليب يعجز عامة المجاهدين عن استعمالها، أساليب تقوم على الكذب والمكر والخديعة والغدر والخيانة.

داعش فصيل متوسط الحجم، أقل حجماً وقوة من أي واحدة من الجماعات الكبرى، كحركة أحرار الشام وألوية صقور الشام وجيش الإسلام. إذن كيف استطاعت إعادة احتلال نصف الأراضي المحررة؟

لقد نجحت داعش في إنجاز تلك المهمة القذرة باستعمال أساليب قذرة، أساليب تنطوي على المكر والخديعة والظلم والبغي والغَصْب والسرقة والكذب والغدر والخيانة. سوف يستغرب أنصار داعش وصفي إياها بهذه الصفات ويقولون: لا يمكن لأي جماعة جهادية أن تستعمل مثلَ تلك الأساليب.

أقول: صحيح، ولكن مَن قال إن داعش جماعة جهادية؟ هل تصبح الجماعةُ جهاديةً بالمزاعم والأقوال أم بالأفعال والأعمال؟ دونكم ما فعلته داعش بنا ثم احكموا لها أو عليها يا أيها المُنْصِفون.

لنتحدث عن الغدر أولاً: لو استقصينا الأمثلةَ على غدر داعش فسوف تتحول هذه المقالة إلى كتاب، ومن ثَمّ فإنني أكتفي بالإشارة إلى نوعَي الغدر الداعشي: الفردي والجماعي. الأول يتمثل في منح الأمان للرسل ولعامة المجاهدين ثم الغدر بهم واعتقالهم وتعذيب وقتل كثير منهم، وقد ذاعت أخبار ضحايا غدرهم حتى صار يعرفها القاصي والداني من السوريين ومن غير السوريين.

الثاني يتمثل في غدر داعش بالكتائب التي تقاتلها ونقض العهود التي تعقدها معها. من الأمثلة المشهورة على ذلك غدر داعش بالأحرار في مسكنة، فعندما فشل هجومها الأول على البلدة طلبت هدنة لم يتردد الأحرار في الاستجابة لها، ثم اتضح أنها لم تطلب الهدنة إلا للغدر بهم، فقد استغلتها لاستقدام تعزيزات ضخمة، وعندما وصلت تلك التعزيزات قصفت مقرات الأحرار بالمدفعية ثم حاصرتها وسيطرت عليها، وبذلك سقطت مسكنة في يد داعش الغادرة.

بل إن الحرب التي يخوضها المجاهدون اليوم مع داعش لم تُطلق شرارتَها إلاّ حادثةُ غدر مشابهة، فعندما قررت داعش الهجوم على الأتارب في آخر كانون الأول الماضي أرسلت إليها رتلاً عسكرياً من حريتان، وحين مرّ الرتل بالمنطقة التي تسيطر عليها كتائب نور الدين زنكي حاول الزنكيون وقفَه ومنعه من التقدم، فوقع اشتباك نتج عنه قتل عدد من الدواعش وأسر أكثر من عشرين، فاستسلم الرتل المهاجم ووافق على وقف القتال، وبالمقابل أطلقت كتائب نور الدين زنكي الأسرى وسلمت جثث القتلى لحامية داعش في خان طومان.

ثم اتضح أن مقاتلي داعش كانوا يخادعون بانتظار وصول مؤازرة من الدانا، وما إن وصلت المؤازرة حتى نقضوا العهد وأطبقوا على مجاهدي نور الدين زنكي فأوقعوا فيهم عشرات القتلى والجرحى والأسرى، ثم هاجموا أورم الكبرى فأوقعوا مقتلة في لواء الأنصار وهاجموا قرية بسرطون وأبادوا الزنكيين الذين وجدوهم فيها، وكانت تلك الغَدْرة هي شرارة الحرب.

تمارس داعش الكذب والتَّقيّة كما يصنع الرافضة تماماً، حتى ليخلط المرء أحياناً بين الفريقين ولا يكاد يميز أحدَهما من الآخر إلا بلون العلَم، فالأصفر لفريق والأسود لفريق.

والعجيب أن داعش تمارس هذا الأسلوب الدنيء على خصومها وعلى جنودها على حد سواء، فما أكثرَ ما قادت مقاتليها إلى الهجوم على قرى المسلمين المحرَّرة وهي توهمهم بأنهم يهاجمون قرى نصيرية أو رافضية، وقد انتهت بعض تلك «الغزوات» بضحايا من الأبرياء، وفي حالات أخرى

نجا الناس عندما استعملوا مكبرات الجوامع لإذاعة الأذان وإشعار المهاجمين المخدوعين بأنهم يهاجمون مسلمين مثلهم، وليس كفاراً أو أعداء كما أوهمهم قادتهم المخادعون الكاذبون.

لقد كذبت داعش ثم كذبت ثم كذبت حتى كُتبت عند الله وعند الناس من أكبر الكذّابين.

كذبت فمنحت الأمانَ لرسل ومستأسرين ثم قتلتهم غيلة وغدراً بدم بارد. وكذبت فادّعت أنها من جبهة النصرة ورفعت علم النصرة لتمر عبر حواجز لواء التوحيد وكتائب الجيش الحر مرات ومرات، كان آخرها في حادثة تفجير مدرسة المشاة في الأسبوع الماضي. وكذبت فزعمت أنها تفاوض لحقن الدم فيما هي تبيّت الغدر وهدر الدم، كما صنعت في التفجير الجبان الغادر في قيادة عمليات الراعي قبل أيام.

وكذبت حين وضعت يدها على غنائم مطار منّغ وزعمت أنها ستوزعها على الكتائب المشاركة ثم لم تفعل. وكذبت في دعوى المشاركة في العمليات العسكرية ضد النظام حتى وَهِمَ أنصارها فظنوها الفريقَ المجلّي في كل ميدان، وما لها في سوريا مشاركة تُذكَر إلا في آحاد عمليات، ولو سألتَهم بعد كل الصخب الذي تسمعه فإنهم يقولون: «منّغ والساحل ومستودعات الحمرا في حماة». وفي كل واحدة منها مقال لو شئنا لأوضحناه مطوَّلاً، وحتى لو سلّمنا بها جميعاً بلا مقال فأين هذه الثلاث من آلاف العمليات التي خاضتها مئاتُ الكتائب في ثلاث سنين وحررت على إثرها ثلثي أرض سوريا؟

ولعل الكذبة الكبرى التي كذبتها داعش وصدّقها كثير من السذّج أنها جماعة مجاهدة جاءت إلى سوريا لقتال النظام، ولو لم تكذب داعش إلاّ هذه لكفى بها دليلاً على أنها من أكبر الكذّابين!

من أسوأ الأساليب القذرة التي استعملتها داعش للتمدد عبر المناطق المحررة وإعادة احتلالها أسلوب المكر والخديعة. إن المدن التي احتلتها داعش بالغزو العسكري المباشر قليلة جداً، كإعزاز والباب ومنبج ومسكنة وحزّانو وقليل غيرها، أما الجزء الأكبر من المناطق التي احتلتها فقد اعتمد احتلالُها على المكر والخداع. فكيف كان ذلك؟

بعد مضي نحو أربعة أشهر على إعلان تأسيس التنظيم الجديد (الدولة الإسلامية في العراق والشام) بدأ سكان المناطق المحررة يشاهدون مقرّات تحمل اسمَه ورايته، فلم يُلقوا لها بالاً، ثم بدؤوا يلاحظون الحواجز الجديدة التي أقامتها داعش داخل المدن والقرى وفي مداخلها وعلى الطرق الموصلة بينها، فسكتوا عنها لمّا قيل لهم إنها لحفظ الأمن، ثم تطورت تلك الحواجز إلى نقاط عسكرية تمكنت داعش بواسطتها من حصار المدن والقرى واحتلالها وطرد الكتائب المحلية منها.

ثم بدأ التنظيم بإظهار قوّته وممارسة سلوك استبدادي تحت غطاء ديني، وكان أوائل ضحاياه من الإعلاميين وناشطي الحراك المدني، فاعتقل أعضاء المجالس المحلية في تل أبيض ومنبج والباب واستولى على المحكمة الشرعية في تل رفعت وطارد واعتقل إعلاميي الثورة في الرقة وسراقب وحاس وكفرنبل والدانا وحزّانو.

ثم انتشرت تلك الممارسات حتى صارت ظاهرة مصاحبة لداعش في كل مكان تتمدد فيه وتسيطر عليه، وصار كل من يعمل في المؤسسات الإعلامية والإغاثية والطبية والدعوية والحقوقية في خطر داهم، فقد اعتقلت داعش منهم مئات واضطر مئات آخرون إلى الهرب إلى تركيا خوفاً من الموت والاعتقال والتعذيب في سجون داعش الذي لم يقلّ سوءاً عن التعذيب في سجون النظام.

عندما تعجز داعش عن احتلال مدينة من المدن بالمكر والخديعة فإنها تلجأ إلى أسلوب آخر:

البغي والفجور في الخصومة واختلاق الذرائع الكاذبة لتبرير غزو المناطق المحررة. فإذا كانت خصومتها مع فرد من كتيبة فإنها تستهدف الكتيبةَ كلها وتحاربها حتى تستأصلها من جذورها وتعتقل أو تقتل قادتها وتشتّت مقاتليها وتستولي على أسلحتها وأموالها ومقراتها، وإذا أخطأ بحقّها فردٌ من سكان إحدى المدن فإنها تعاقب المدينةَ كلها فتجتاحها وتحتلها وتقضي على ما فيها من إدارات مدنية وهيئات شرعية، وهي - بهذا البغي والظلم- لا تقل فجوراً وإجراماً عن النظام الأسدي نفسه، والأمثلة على ذلك لا تكاد تحصى.

في منتصف أيلول الماضي أطلقت داعش حملة عسكرية ضد كتائب الجيش الحر في ريف حلب الشرقي تحت عنوان «نفي الخبث»، وقالت إنها «تستهدف عملاء النظام الذين قاموا بالاعتداء السافر على الدولة الإسلامية في العراق والشام، وفي مقدمتهم كتيبتا الفاروق والنصر». وكانت الذريعة السخيفة حسبما جاء في البيان الداعشي: «محاولة أتباع النظام السوري اقتحام مقر الدولة في مدينة الباب عبر مظاهرة مسلحة خرجت أمام المقر، ثم قيامهم بالاعتداء على جنودنا من أنصار ومهاجرين بالسبّ والشتم والضرب وإطلاق النار ورمي القنابل وتحطيم المركبات».

من الأمثلة المشهورة أيضاً الهجوم على لواء عاصفة الشمال في إعزاز بذريعة ملاحقة طبيب ألماني اتُّهم بالتجسس وتصوير مقر الدولة في المدينة، ومنها الحادثةُ التي كانت سبباً في اندلاع الاشتباكات الأخيرة، فقد أعلنت داعش الحرب على الأتارب بحجة أن أحد أبناء المدينة «رمى راية الدولة على الأرض»! ورغم أن لواء أمجاد الإسلام (الذي يسيطر على الأتارب) أعلن موافقته على التعاون وتقديم المتهم إلى محكمة شرعية تختار هيئةُ النصرة قضاتها إلا أن داعش أصرت على غزو المدينة وسيّرت إليها الأرتال. أليس هذا هو منطق الجيش الأسدي نفسه؟

السرقة والسطو على المال العام من الوسائل التي تستعين بها داعش لتعزيز مواردها، فهي تعتبر أن كل مال عام في سوريا حقٌّ لها، وربما مدت يدها أيضاً إلى المال الخاص، ومتى شاءت استلابَه من صاحبه وضعت لنفسها ألفَ تبرير ولم يردعها شرع ولا قانون.

اسألوا سكان المناطق المحررة كم من المصانع والمتاجر والمساكن نُهبت بحجة أن أصحابها شبّيحة أو موالون سابقون أو نصارى لا ذمّةَ لهم ولا أمان، وكم من المنشآت الإغاثية والطبية صادرتها داعش أو خرّبتها وأتلفت ما فيها من مواد وتجهيزات لأنّ للهيئات القائمة عليها صلةً بالدول الكافرة أو بالائتلاف السوري المرتد.

وما أدري لِمَ هم مغرمون بتدمير وتعطيل المستشفيات على الخصوص، فما أكثرَ ما خرّبوه منها أو سلبوا أجهزته ومعداته، وما أكثرَ ما احتلّوه وحولوه إلى مقرات. إنهم يتركون الأبنية التي بناها الناس للتجارة والسكن ويستولون على البناء الذي بُني وجُهِّز ليكون مستشفى يعالج الناس ويخفف معاناتهم، فيعطّلونه ويحوّلونه إلى مقر عسكري لهم، أو يهاجمونه بأي ذريعة سخيفة، كالاختلاط بين الرجال والنساء أو الاستعانة بأطباء «جواسيس» من الكفار!

قد لا يصدق القرّاء الكرام لو عرفوا عدد المستشفيات التي خربتها داعش تخريباً متعمداً، وكأنها موكلة بزيادة معاناة الناس ليسارعوا إلى الاستسلام! هل تعلمون أن عدد المستشفيات التي هوجمت وخُربت في الأيام العشرة الأخيرة من شهر

كـانون الماضـي فقـط (أي قبـل بدايـة الاشـتباكات الأخـيرة مباشـرة) هـي ثلاثـة مستـشفيات: مسـتـشفى اليمـضية في جبـل الأكـراد، وقـد توقـف عـن العمـل، ومستـشفى الـزرزور في حلـب، وقـد نجّـاه الله مـنهم بفـضله تعـالى ثـم بفـضل الكتائـب الـتي سـارعت لإنقـاذه، ومستـشفى مـسكنة الـذي اسـتغرق إنـشاؤه عـشرةَ أشـهر وكلـف عـشرةَ ملايـين لـيرة سـورية، فخرّبتـه داعـش في عـشرة أيـام وسـرقت محتوياتـه وتجهيزاته فلم تُبقِ فيه شيئاً يُستفاد منه.

نـاهيكم عـن الحقـول النفطيـة وصـوامع الغـلال الـتي اسـتولت عليهـا في الرقـة ولا يعـرف أحـدٌ مـا يُفعَـل بمواردهـا علـى وجـه التحقيـق، وعـن المخـابز والمطـاحن والمـصانع والـصيدليات ومـستودعات الغـاز الـتي اسـتولت عليهـا في حلـب وغيرهـا مـن المنـاطق، حتـى صـار النـاس يفـرّون منهـا بـأموالهم وأملاكهـم كمـا يفـرون مـن جـيش الاحـتلال الأسـدي، وحتـى صـار الـسوريون المـساكين تحـت سـيطرتها كمَـن خـرج مـن تحـت الـدَّلْف فـانتهى أمـره تحت المزراب!

وبعـد، فلـو أننـا بـسطنا المقـال في خيانـات داعـش وغـدرها وكـذبها وتَقِيّتهـا وفجورهـا في الخـصومة ونكثهـا بـالعهود ونقـضها للاتفاقيـات لملأنـا مجلـداً كـبيراً، حتـى مـا عـدنا نعـرف هويـة هـذه الجماعـة ومـذهبها ودينهـا، فإننـا إذا نظرنـا إلى كـذبها وخيانتهـا قلنـا منـافقون، وإذا نظرنـا إلى تكفيرهـا قلنـا خـوارج، وإذا نظرنـا إلى تَقِيّتهـا قلنـا روافـض، وإذا نظرنا إلى عدوانها قلنا بغاة.

ورغـم ذلـك كلـه فمـا يـزال فريـق مـن المخـدوعين يظـن أنهـا دولـة الإسـلام لأنها رفعت راية التوحيـد وسمّـت نفـسها دولـة الإسـلام! مـا أسـهلَ مـا تخدع الشعاراتُ والأسماءُ السذّجَ المغفَّلين!

إيران سنّية

د. محمد بن صقر السلمي – جريدة مكة ٢٠١٤/٤/٢٧

بـدأت إيـران الـتي تتخـذ مـن المـذهب الـشيعي الاثـني عـشر مـذهبا رسميـا لهـا وتنـصب نفـسها المـدافع الأول عـن حقـوق الـشيعة في العـالم، تكـشف عـن مخاوفهـا مـن زيـادة عـدد الإيـرانيين الـسنة الـذي بـدأ يحـدث تغـييرا فعليـا في تركيبتهـا السكانية من حيث الانتماء المذهبي.

وفيمـا توقـع بعـض البـاحثين والخـبراء أن تتحـول إيـران إلى المـذهب الـسني خـلال ربـع قـرن بنـاء علـى إحـصاءات سـكانية موثوقـة أظهـرت أن الكفـة أخـذت تميـل باتجـاه الـسنة الـذين يـتراوح عـددهم بـين ٢٠ مليونـا و٢٥ مليـون نـسمة بيـنهم مليـون في طهـران، بـرزت صـرخات مدويـة مـن شـرائح اجتماعيـة مختلفـة ورمـوز نخبويـة مقربـة مـن القيـادة الإيرانيـة باسـتدراك الأمـر قبـل اسـتفحاله وتحـول إيـران مـن المـذهب الـشيعي إلى المـذهب الـسني أو «الوهـابي» كمـا يحلـو لإيران تسميته.

ولم يتـوان بعـض المـسؤولين الإيـرانيين عـن اتهـام الـسعودية وأمريكـا بـالوقوف وراء زيـادة النمـو الـسكاني لـدى الـسنة، خـصوصا في سيـستان وبلوشـستان علـى الـرغم مـن الحرمـان والفقر.

ولفتـوا إلى أن الإيـرانيين الـشيعة التزمـوا بـسياسة تحديـد النـسل الـتي فرضـتها الحكومـة منـذ سـنوات، بينمـا لم يلتـزم بهـا الـسنة بنـاء لفتـاوى حرمتها أطلقها مشايخهم.

إيران تعود إلى المذهب السني خلال ٢٥ عاما

انتـشرت في الأوسـاط الإيرانيـة خـصوصا النخبويـة منهـا خـلال الفـترة الماضـية، أنبـاء وتقـارير أثـارت هـواجس أمنيـة ومذهبيـة وسياسـية لـدى الـدوائر الحاكمـة في طهـران. وهـذه المخـاوف ليـست بـسبب تهديـدات عـسكرية غربيـة أو شـرقية أو عمليـات

مخابراتية أو استهداف أمني لنخبة البرنامج النووي وعلمائه، بل تبدو للوهلة الأولى أقل من ذلك بكثير، ولكن عند التعمق في تفاصيلها تجد أنها تهديدات حقيقية تكاد تهز عرش نظام ولاية الفقيه، والأصعب من ذلك تعذر الحلول الحقيقية للوقوف في وجه هذا الخطر، ذلك أن أي تعامل مباشر مع هذا التهديد قد يجر مشاكل إضافية للنظام دون محاصرة التهديد الرئيس أو تحجيمه.

استشعار الخطر

فالخطر الذي تشعر به إيران يتمثل في تغيير في تركيبتها السكانية من حيث الإنتماء المذهبي، علما أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تتخذ من المذهب الشيعي الاثني عشري مذهبا رسميا لها وتنصب نفسها المدافع الأول عن حقوق الشيعة في العالم، وبالتالي لا يمكن لهذا النظام أن يتصور حدوث تغير جذري في التكوين المذهبي، وبدأت الكفة تميل باتجاه أتباع المذهب السني في مجتمع كان إلى فترة طويلة يشكل الإنتماء للمذهب الشيعي فيه الغالبية العظمى في البلاد. إلا أن الأمر ليس محكوما بالأماني والرغبات الشخصية، فالواقع على الأرض يقود إلى الحقيقة المحضة سواء أكان المرء يتفق معها أو يختلف. ومن هنا جاءت الصرخات المدوية من شرائح اجتماعية مختلفة ورموز نخبوية مقربة من القيادة الإيرانية باستدراك الأمر قبل استفحاله وتحول إيران من المذهب الشيعي إلى المذهب السني أو «الوهابي» كما يحلو لإيران تسميته.

ضرب التركيبة

وتزعم تقارير فارسية أن سياسة تنظيم النسل كانت مقبولة من غالبية الشعب (أي الشيعة) إلا أن أتباع المذهب السني يتجاهلونها. ويقول تقرير نشر مؤخرا: «إذا ألقينا نظرة على مؤشر النمو السكاني فنجد أن الكثافة السكانية في محافظات؛ طهران وقم وسيستان وبلوشستان ارتفعت بواقع ٣٪». ويضيف: لا نحتاج إلى توضيح أسباب النمو السكاني في العاصمة طهران، كما أن النمو السكاني في قم يعود إلى الهجرة المتنامية إلى هذا الإقليم، إضافة إلى قربه من إقليم طهران. ويتساءل عن ارتفع معدل النمو السكاني في سيستان وبلوشستان على الرغم من الحرمان والفقر؟ ثم يجيب: أحد أهم الأسباب الرئيسة الذي يمكن طرحه في هذا الخصوص هو سياسة زيادة تعداد أتباع المذهب السني في إيران وضرب التركيبة السكانية في البلاد، وهي سياسة تنتهجها الولايات المتحدة الأمريكية وتدعمها السعودية. عندما تم طرح هذه المسألة على أحد المهتمين، أكد أن الوضع أكثر سوءا من ذلك، فسيستان وبلوشستان اللتان تشكلان مركزا جغرافيا حساسا للنظام، وقاد استقبالهما لأفواج المهاجرين الشيعة إلى تركهما لدواع أمنية ومشاكل أخرى عديدة.

التقسيم المذهبي

وتشير التقارير الصادرة من الداخل الإيراني، إلى أن معدل النمو السكاني في الأقاليم ذات الغالبية السنية أعلى من متوسط النمو السكاني في البلاد بشكل عام، وهذا مؤشر لمفاهيم معينة. فوفقا لبعض الإحصاءات، يتجاوز مؤشر النمو السكاني في المناطق السنية بثلاثة أضعاف متوسط النمو السكاني في البلاد. وتشير إلى أن تعداد أتباع المذهب السني في إيران يتراوح بين ٢٠ مليونا و٢٥ مليون نسمة.

وبحسب موقع «نفس نيوز» الإيراني، فإن عدد التلاميذ السنة والشيعة في المرحلة الابتدائية في إيران قد تساوى، لافتا إلى أن معدل النمو السكاني للسنة بلغ ٤ ٪ بينما معدل الشيعة ١,٧ ٪ فقط.

وهذه النسب والمعدلات تتفاوت نسبيا بين تقرير وآخر، وإن كانت جميعها صادرة عن جهات أو أفراد مرتبطين بالنظام الإيراني.

تراجع الشيعة

ونقل موقع «شيعه أونلاين» المقرب من النظام الإيراني، عن الأستاذ الأكاديمي بجامعة مشهد الدكتور سيد حسين علوي قوله إن «معدل النمو السكاني في المناطق السنية يصل إلى ٧ ٪، أما في المناطق الشيعية فيتراوح بين ١ ٪ و١,٣ ٪.»، وأضاف:

في أحد أحياء مشهد توجد مدرستان للبنات واحدة ابتدائية ومتوسطة، والثانية ثانوية. يشكل الشيعة في المدرسة الثانوية ٨٠ ٪ من مجموع الطالبات، بينما يشكل السنة ٢٠٪ فقط. أما في المدرسة الابتدائية فتشكل الطالبات السنة ٨٠ ٪ والشيعة ٢٠ ٪ فقط.

وفي إجابة على تساؤل طرحه شخصيا حول سر هذا الاختلاف في النسب؟ يجيب الأكاديمي الإيراني قائلا: منذ أن اعتمدت سياسة تحديد النسل في البلاد، أصبح عدد أبناء الشيعة في تراجع مستمر مقابل ارتفاع في أعداد المواليد السنة، وتتراوح أعمارهم الآن بين ١٣ و١٤ عاما، لذا فجميعهن الآن يدرسن في المدارس الابتدائية والمتوسطة، ولكن بعد ثلاث سنوات سينتقلن إلى المرحلة الثانوية وستصبح نسبة طالبات السنة في المرحلة الثانوية ٨٠ ٪ ويصبح الشيعة أقلية لا تتجاوز نسبتهم ٢٠ ٪.

دهشة المسؤولين

وتحدث علوي عن النمو السكاني في بعض المناطق السنية، قائلا إن الوضع في بعض القرى والمدن المختلطة (شيعة وسنة) بلغ حالة «مفزعة للغاية». وأشار إلى قرية يعرفها جيدا كان الشيعة فيها يشكلون ٦٥ ٪ والسنة ٣٥ ٪، أما في الوقت الراهن فأصبح ٨٦ ٪ من أهالي تلك القرية من أتباع المذهب السني.

وفي السياق نفسه، يشير تقرير نشره موقع «شيعة أونلاين» في ٢٠١١، إلى أن عدد أتباع المذهب السني قد تجاوز المليون شخص في إقليم طهران الذي يعد عاصمة التشيع في العالم، أي أصبحت نسبة السنة في طهران نحو ١٠ ٪. وأضاف هذا المصدر الذي فضل عدم الكشف عن هويته، أن هذه الإحصاءات التي أجريت خلال تلك الفترة (٢٠١١)، أثارت دهشة وقلق بعض المسؤولين في إيران.

موقف المراجع

ربما يعد أول من تحدث بصراحة عن هذه المخاوف بشكل علني، شخص يدعى حجة الإسلام مهدي دانشمند، وكان ذلك عبر مقاطع فيديو انتشرت على الانترنت قبل عدة سنوات، إذ وجه هذا الشخص اتهامات وعبارات سيئة تجاه أتباع المذهب السني، ومعدل النمو السكاني في المناطق السنية في إيران، وعدها مؤشرات مخيفة وتشكل خطرا على تميز المذهب الشيعي في البلاد، مطالبا بمواجهة جدية لهذا الخطر.

من جهة أخرى، تلقي المواقع الإيرانية باللوم على بعض المدارس (غير معترف بها من قبل الحكومة) في المناطق السنية ووصفها بأنها مدارس وهابية باسم أهل السنة. وتزعم هذه المواقع أنها وصلت إلى بعض الوثائق والمستندات التي تؤكد تأسيس مدارس دينية باسم أهل السنة في بعض المحافظات الحدودية، إلا أن مناهج هذه المدارس لا علاقة لها بالمذاهب السنية الأربعة المعروفة، وهي مبنية على «الوهابية» بنسبة ١٠٠ ٪.

تفوق العربية

ويضيف: تركز هذه المدارس على تعليم المعتقدات المعادية للشيعة وتدار بإمكانات عالية جدا. أما عن برامج هذه المدارس والنظام التعليمي فيها، فيقول التقرير: يمكث التلاميذ في هذه المدارس لمدة أربع سنوات من الصباح حتى العصر، ولكي يحصلوا على شهادة رسمية فإنهم يلتحقون بالثانوية الحكومية مساء ويستمرون في الدراسة حتى الحصول على الدبلوم. خلال ٤ سنوات يقضيها الطلاب في هذه المدارس، يتم تدريس كتب التوحيد وشروح «العقيدة الوهابية» باعتبارها العقيدة الصحيحة، وبعد التخرج يلتحق بعض طلاب

هـذه المـدارس وبـسبب تمكـنهم مـن اللغـة العربيـة، بكليـات المعلمـين والأقـسام الإدارية، إلا أن عـددا مـن هـؤلاء الطـلاب يتجهـون إلى مـدارس الوهابيـة الأعلـى، وبعـضهم يـتم إرسـاله إلى الخـارج لمواصـلة دراسـتهم في هذا المجال، وفقا للتقرير.

إلقاء التهم

وعـن الجهـات الـتي تـؤمن مـصاريف هـذه المـدارس، يـزعم التقريـر أن هنـاك علاقـة وثيقـة بـين «وهابيـة» (أي الـسنة) الـداخل والـدول العربيـة المجـاورة خاصـة الإمـارات العربيـة المتحـدة والمملكـة العربيـة الـسعودية الـتي تعـد الداعم الأول لهذا الفكر وتعمل على تمويله.

بـل إن الـتهم الموجهـة لـدول الجـوار العربـي تجـاوزت ذلـك بكـثير، حيـث يـزعم تقريـر نـشرته وكالـة أنبـاء «جنـوب نيـوز» الإيرانيـة أن الـسعودية تقـدم لكـل مولـود مـن أتبـاع المـذهب الـسني في سيـستان وبلوشـستان مـساعدات ماليـة كـبيرة، وأن علمـاء «الوهابيـة» أصـدروا مجموعـة مـن الفتـاوى الـتي تـشجع الرجـل الـسني الإيرانـي علـى الـزواج مـن ٤ نـساء وإنجـاب ١٠ أطفـال، بينمـا نجـد المتـدينين الـشيعة ملتزمين.

وتوضـح هـذه التقـارير بجـلاء مـدى الهـوس الـذي يعيـشه الإعـلام الإيرانـي بـسبب تـصاعد أعـداد أتبـاع المـذهب النـسي هنـاك، ممـا قـادهم إلى تجاهـل الأسـباب الحقيقيـة والنظـر إليهـا بواقعيـة والعمـل علـى معالجتهـا إلى الهـروب نحـو إلقـاء اللـوم علـى جهـات أجنبيـة وترسـيخ فكـرة المـؤامرة واسـتهداف الـبلاد لـدى المتلقـي الإيرانـي. يـذكر أن المرشـد الأعلـى في إيـران آيـة اللّه خـامنئي قـد حـث الحكومـة علـى معالجـة مـشكلة «شـيخوخة المجتمـع» والعمـل علـى مـضاعفة أعـداد الـسكان. كمـا أن البرلمـان الإيرانـي يـسعى لحظـر عمليـات التعقـيم للرجـال والنـساء، فضلا عن تشديد قوانين الإجهاض في البلاد.

نتائج النسل مسألة وقت

«تجنبـوا الـتفكير في هجـوم اسـتباقي علـى إيـران، لأن الوقـت والإحـصاءات الـسكانية وتغـير النـسل ليـست في صـالح الحكومـة الإيرانيـة مطلقـاً»، الباحـث والمفكـر الاسـتراتيجي الأمريكـي زبغنيـو بريجينسكـي.

الحكومـة طبقـت تنظـيم النـسل والـسنة حرموه

«إن شـيخوخة المجتمـع تـؤدي إلى هـلاك الـبلاد، وهـذه نتيجـة غـير مقبولـة. ولقـد جمعـني لقـاء بالمرشـد الأعلـى آيـة اللّه علـي خـامنئي وتحـدث خلالـه عـن الهمـوم العامـة في الـبلاد ومـن بينهـا مـسألة تنظـيم النـسل. في عـام ١٩٨٩م كـان توجـه المرشـد الأعلـى آيـة اللّه الخمـيني يرمـي إلى أن يـصبح معـدل أفـراد الأسـرة الواحـدة ٦ أشـخاص، إلا أن المجتمـع توجـه، ومـع الأسـف الـشديد، نحـو سياسـة الاكتفـاء بطفـل أو طفلـين للعائلـة الواحـدة، وهـذا الأمـر أدى بعـد ربـع قـرن مـن الـزمن إلى نتـائج في غايـة الخطـورة. عنـدما كانـت سياسـة الدولـة قائمـة علـى كـبح معـدلات النمـو الـسكاني، أصـدر علمـاء الـسنة فتـاوى تحـرم تنظـيم النـسل. إن هـذه مـؤامرة خطـط لهـا الأعـداء، وشـجعت اليونـسكو إيـران علـى اتخـاذ سياسـة خفـض معـدل النمـو الـسكاني، ونحـن قمنـا بتطبيـق سياسـاتهم، وهـا نحـن نحـذر الحكومـة مـن التـساهل في ذلـك، وأن تأخـذ المـسألة بجديـة كـبيرة، وألا يتراجـع عـدد أتبـاع المـذهب الـشيعي في إيـران في عـصر الجمهوريـة الإسـلامية». ممثـل إقلـيم خوزسـتان (عربستان) في مجلس الخبراء، آية اللّه حيدري.

سنّة إيران معضلة حقيقية

«نحـن قلقـون مـن ظـاهرة زيـادة أعـداد المنـتمين للمـذهب الـسني في إيـران، نـرى في الوقـت الـراهن أن أهـل الـسنة يقومـون بـشراء الأراضـي والمنـازل مـن الـشيعة في ضـواحي مـشهد ليتمكنـوا مـن رفـع نـسبة وجـودهم في هـذه المدينـة، وهـذا يـشكل معـضلة حقيقيـة، ونحـذر المـسؤولين مـن التراخـي حيـال هـذا الأمـر وإذا لم تتخـذ التـدابير اللازمـة بأسـرع مـا يمكـن فـإن الأمـر قـد يـصل إلى مرحلـة تـصعب معالجتهـا. فارتفـاع عـدد أتبـاع المذهب الـسني في إيـران

يشكل تهديدا حقيقيا على الأمن القومي الإيراني، وإذا تم صرف ريال واحد لنشر أسس مذهب آل البيت، فإن ذلك في حقيقة الأمر سيساعد على أمن وثبات النظام الإسلامي في البلاد». مرجع التقليد المتنفذ آية الله مكارم شيرازي

كل سني ينجب ٢٠ طفلا

«الإحصاءات العامة للنمو السكاني في البلاد بشكل عام لا تشكل أي مؤشرات حقيقية لمخاوف القيادات الإيرانية من تغيير التركيبة السكانية في البلاد، إلا أن الخوف يبدأ عندما يتم مقارنة هذه الإحصاءات مع معدلات النمو السكاني في المناطق الحدودية خاصة بين أتباع المذهب السني بعدد الشيعة. بعد الحملة الدعائية للحكومة الرامية إلى خفض معدلات النمو السكاني، اتجه علماء السنة في البلاد إلى الترويج لرفع معدلات النمو السكاني في مجتمعهم بهدف تحقيق الغالبية في إيران وقد حققوا، حتى الآن، نتائج كبيرة في هذا الصدد. فالسنة يقومون في الوقت الراهن، وبصورة رسمية وغير رسمية، بحملة تشجع أبناء مجتمعهم على الزواج من امرأتين وانجاب ٢٠ طفلا.

إنهم يصرحون برغبتهم في تحويل إيران إلى دولة سنية. من يقم بزيارة واحدة لمحافظة سيستان وبلوشستان، فسيلاحظ أن الترويج للزواج من ٤ نساء وزيادة النسل أمر متداول ومقبول بين أتباع المذهب السني هناك.

ومن جهة أخرى هناك هجرة متزايدة لأهل السنة من مناطقهم إلى المدن الشيعية بهدف تغيير التركيبة السكانية وهذه حقيقة لا يمكن تجاهلها أو إنكارها. ففي مدن كثيرة، أصبحت هناك مناطق مأهولة بالبلوش فقط، وقد انتشر ذلك في جرجان ورشت ومشهد علاوة على بيرجند وكرمان وغيره». الأستاذ الأكاديمي بجامعة مشهد الدكتور سيد حسين علوي

بعد ٤٠ عاما سنندم أشد الندم

«إن الترويج لسياسة خفض النمو السكاني وأعداد المواليد في البلاد كان توجها خاطئا بكل المقاييس، وإذا استمرت هذه السياسة فإننا بعد ٤٠ عاما سنندم أشد الندم على تطبيقها، لأن نسبة الشيعة في إيران حينئذ لن تكون متوازنة مع بقية الأقليات، وسنشهد تغييرات كبيرة وواسعة، الأمر الذي بدأنا نلحظه الآن في بعض المدن الإيرانية.

هناك من أعداء الإسلام من قد يستغل الفقر والمشاكل الثقافية في مناطق. إن تغيير التركيبة السكانية وإزالة الغالبية الشيعية في إيران خاصة في المناطق الحدودية وكذلك توزيع أتباع المذهب السني في مدن مختلفة، تعد إحدى مخططات السعودية و«الوهابية» تجاه إيران.

ونحن نحذر من نشاطات المجموعات «التكفيرية» التي تهدف إلى إيجاد اضطرابات وفتنة في بعض المحافظات الإيرانية، ويجب أن يكثف علماء الدين جهودهم في سائر قرى ومدن البلاد حتى يتم التصدي فورا لأي نشاط منحرف ومعاد للدين في هذه المناطق، كما يجب التنسيق والتعاون مع المسؤولين في سبيل بدء برامج توعوية في هذا الصدد». مرجع التقليد في قم آية الله جعفر سبحاني

تغييب الحقائق وتهييج شعبي

تتجاهل تصريحات الشخصيات الإيرانية التي تحدثت عن مسألة تغيير التركيبة السكانية في إيران، جانبا مهما وبشكل متعمد، إذ تشير تقارير كثيرة إلى موجة تسنن في المجتمع الإيراني خاصة بين المنتمين إلى الأقليات العرقية غير الفارسية، بسبب التهميش الذي يمارسه النظام ضد هذه الأقليات.

ويعترف الإيرانيون بأن المحافظات التي تقطنها الأقليات العرقية كالأقلية العربية والكردية والآذرية تعاني من نقص كبير في الخدمات العامة مقارنة بمحافظات وسط إيران حيث العرق الفارسي، كما أشار أحد التقارير صراحة عند حديثه عن إقليم سيستان وبلوشستان. لقد تجاهل رجال الدين في إيران الإشارة إلى ذلك خشية لفت الأنظار إلى هذه الظاهرة ومن ثم انتشارها بوتيرة أعلى، لذا فقد ذهبوا في تصريحاتهم حول ارتفاع

أعداد المنتمين إلى المذهب السني في إيران إلى التركيز على ارتفاع معدلات المواليد فقط.

وفي هذا الصدد، عمد النظام الإيراني خلال السنوات القليلة الماضية إلى الزج بالآلاف من رجال الدين الشعية إلى المناطق التي شهدت موجة من اعتناق المذهب السني وذلك لمواجهة هذه الظاهرة كما تم تأسيس قنوات تلفزيونية جديدة ذات صبغة مذهبية تبث بلغات الأقليات العرقية وكذلك مدارس دينية أيضا.

إضافة إلى ذلك، شن مرجع دين شيعي في الأحواز ذات الغالبية العربية، هجومًا على دول الخليج العربي كالسعودية والإمارات والكويت متهما إياها بالعمل على نشر المذهب «الوهابي» (السني) بين الشيعة في الأحواز. وقد أشار مندوب خطيب الجمعة وممثل آية الله خامنئي في الأحواز آية الله موسوي جزائري إلى إن «الوهابية» المنتشرة في أنحاء الأحواز ستتراجع أمام مد التشيع، وذلك لحقانية مذهب الشيعة، وإن مصير «الوهابية» سيكون الفشل المحتم»، على حد زعمه.

وفيما يتوقع خبراء بأن يشكل السنة الغالبية العظمى في إيران خلال ٢٠ عاما فقط، أشار تقرير نشره موقع «نفس نيوز» الإيراني إلى مخاوف من تحول إيران إلى دولة سنية، قائلا: إن قراءة مثل هذه الأخبار أمر مؤسف لكل شيعي لأننا الدولة الشيعية الوحيدة في العالم. من المؤكد أننا لن نستطيع أن نجيب إمامنا الغائب (المهدي المنتظر) خاصة أن مقولة «أطفال أقل، حياة أفضل» قادتنا إلى نوم عميق، يجب أن نستيقظ منه.

من جانب، آخر يشير أحد المواقع إلى المخاوف من تزايد أعداد السنة وارتفاع معدلات النمو السكاني بينهم بنسبة تصل أحيانا إلى ٧ ٪ ويؤكد أنه إذا ما استمرت هذه النسبة فإن أهل السنة في إيران سيشكلون الغالبية خلال ٢٠ عاما، مبينا أن التركيبة السكانية في إيران ستصبح خلال ٥٠ عاما ٧٠ ٪ للسنة مقابل ٣٠ ٪ للشيعة.

ويضيف الموقع: لقد أبدى أحد الشخصيات البارزة في النظام قلقه من هذا التطور، وقال: كيف يمكننا التأكد من عدم مطالبة أهل السنة في القريب العاجل بالحصول على منصب وزير أو حتى رئاسة الجمهورية إذا استمر الوضع على ما هو عليه الآن؟

ويقول آية الله حيدري: سيصبح معدل النمو السكاني في البلاد صفرا بحلول ١٣٩٥ هـ. ش./ ٢٠١٧م، وبعد ذلك سيتحول إلى نمو سلبي، إلى درجة أن التوقعات تشير إلى تراجع عدد سكان إيران في ١٤١٥ هـ.ش «٢٠٢٦م» ليصبح ٤٥ مليون نسمة، وقد يتحول السنة إلى أغلبية خلال ربع قرن تقريبا إن لم يتم اتخاذ إجراءات مناسبة في هذا الصدد.

مبررات

يركز رجال الدين الشيعة الذين أخذوا على عواتقهم حملة التحذير من ما يرونه خطر تحويل إيران إلى المذهب على الخلافات المذهبية تارة والسياسية تارة أخرى. يقول الدكتور علوي، الأكاديمي بجامعة مشهد: قد يتساءل البعض قائلا: يعتبر أهل السنة والجماعة الحاكم المسلم «ولي الأمر» ويمتثلون له بالطاعة ويرون ذلك واجبا شرعيا، فكيف خالفوا سياسات الحكومة؟ الإجابة على ذلك واضحة جدا، لقد تحول السنة مع مرور الزمن إلى الوهابية التي تحرم طاعة الحاكم الشيعي وتبيح مواجهة الشيعة بكل طريقة ممكنة وترى ذلك أمرا يوجب الثواب. علاوة على ذلك، تحاول بعض تلك الشخصيات إبراز الأمر بالمؤامرة التي يحيكها الأعداء ضد إيران وأن أتباع المذهب السني في إيران يتعرضون لحملة تضليل وتوجيه من قبل جهات خارجية.

فيزعم موقع «فرهنك نيوز» الإيراني أن الأعداء الدائمين والقدامى للأمة الإيرانية المسلمة يعيشون حالة من الذعر الشديد بسبب عظمة هذا الشعب لذا فهم يستهدفون الجمهورية الإسلامية في إيران

بـصفتها أكـبر دولـة شـيعية في العـالم الإسـلامي اسـتطاعت، علـى مـدى العـصور، أن تحمـي الإسـلام النقـي وتحـافظ عليـه «هكـذا يوصـف المـذهب الـشيعي الإمـامي في إيـران».

ويـضيف التقريـر أن الـسلطات الإيرانيـة اكتـشفت رسـالة بعثهـا زعـيم «الوهابيـة» في باكـستان إلى علمـاء أهـل الـسنة والجماعـة في إيـران والمتـأثرين بـالفكر الـسعودي، ويكفـي أن نـورد جملـة واحـدة مـن هـذه الرسـالة لكـي نـبين أهـدافهم: لا يهـم إذا لم تجـدوا عـشاءكم ولكـن اجتهـدوا في إكثـار النـسل، فمستقبل إيران بين أيديكم.

الذكرى ٨٩ للاحتلال: كيف سقطت الأحواز؟

يعقوب زرقاني – السياسة الكويتية

«الأحـواز بـلاد مختلفـة عـن فـارس كـاختلاف إسـبانيا عـن ألمانيـا»، هـذا اقتبـاس مـن كتـاب «مـذكرات ضـابط سياسـي في جنـوب غـرب بـلاد فـارس» لـسير ويلـسون المفـوض المـدني البريطـاني في بغـداد (١٩١٨- ١٩٢٠)، واليـوم بعـد ٨٩ عامـاً مـن احـتلال إيـران للأحـواز، لايـزال الكـثير مـن العـرب يجهـل كيـف بـدأ هـذا الاحـتلال. في مـا يـأتي ذكـر لأهـم الأسـباب الـتي أدت إلى «تقـويض الحكـم العربـي في الأحـواز» علـى حـد وصـف المـؤرخ حـسين خلف الشيخ خزعل.

في نهايـة الحـرب العالميـة الأولى، أخـذت الـشيوعية طريقهـا إلى إيـران مـا هـدد المـصالح البريطانيـة هنـاك، فأبـدت بريطانيـا مخاوفهـا مـن وصـول روسـيا إلى الميـاه الدافئـة في الخلـيج العربـي، وبـدأت بحـض طهـران علـى توقيـع معاهـدة حمايـة (١٩١٩)، غـير إن محـاولات بريطانيـا لإبـرام تلـك المعاهـدة بـاءت بالفشل، فهـددت ملـك ايـران حينـذاك، أحمـد شـاه، عنـد زيارتـه لنـدن، مـن أن ذلـك سـيؤدي بـه إلى فقـدان عرشـه، فعـاد إلى طهـران قاطعـاً الزيـارة، وفي طريـق عودتـه عـرج علـى المحمـرة، ليـزور الـشيخ خزعـل بـن جـابر حـاكم الأحـواز، شـارحًا لـه الوضـع الـسائد في إيـران، ومـا لاقـاه مـن ضـغوط بريطانيـة، طالبًـا منـه أن يعـضده ويحمـي عرشـه، فاسـتجاب خزعـل وعاهـده علـى ذلـك، ومـن هنـا بـدأ العد العكسي لاحتلال الأحواز.

كـان الوضـع في الأحـواز حينهـا، هادئًـا مـستقرًا، منتعـشًا اجتماعيًـا واقتـصاديًا، بينمـا عانـت بـلاد فـارس مـن تـدهور الحـال مـع قطـع بريطانيـا المنح الماليـة عنهـا، فحـصدت المجاعـة الفارسـية الكـبرى (١٩١٧- ١٩١٩) أرواح تـسعة ملايـين نـسمة، ولمـا فـشلت حكومـة فـتح اللّه الرشـتي بالوصـول إلى تفاهمـات مـع بريطانيـا، زعـزع ذلـك اسـتقرار إيـران، مـا أدى إلى بـروز رضـا خـان البهلـوي عـام ١٩٢١، وبـدفع مـن بريطانيـا قـام بـانقلاب عـسكري وزحـف علـى طهـران، لـيعين بعـدها رئيـسًا للأركـان، ثـم وزيـرًا للـدفاع، ويبـدأ في سياسـة الغـزو والتمـدد، اذ أرسـل جيـشًا ليـستقر علـى حـدود الأحـواز، فاجتمعـت كلمـة خزعـل ورؤسـاء البختياريـة علـى صـد تلـك القـوات، واشـتبكت عـشائر البختياريـة مـع ذلـك الجـيش وأفنتـه عـن آخـره، وهكـذا فـشلت محاولـة رضا خان الأولى في غزو الأحواز.

هـذا الفـشل جعـل رضـا خـان يـستولي علـى رئاسـة الـوزراء، ثـم توصـل مـع بريطانيـا، الـتي كانـت علـى عـداء مـع أحمـد شـاه، إلى خطـة محكمـة تـنص علـى إثـارة خزعـل ضـد إيـران، حتـى يـتمكن رضـا خـان مـن ارسـال الجيـوش الإيرانيـة لغـزو واحـتلال الأحـواز. وقـد حـصل ذلـك بالفعـل، فبعـد عـدد مـن التحرشـات الإيرانيـة بـالأحواز، أعلـن خزعـل ثورتـه ضـد رضـا خـان، في رسـالة نـصت علـى «إنـني لا اعـترف بتوليـك رئاسـة الـوزارة وأعتـبرك شخـصًا غاصـبًا مـا لم تـسع الى إعـادة الـشاه إلى إيـران، وعنـد عـدم تلبيـة هـذا الطلـب فـسأرسل جيـشًا لاحـتلال ايـران وأدخـل طهـران فاتحًـا واسـتدعي الـشاه ليتـسلم عرشه».

بهـذا نجحـت بريطانيـا في إثـارة خزعـل، ولما لم

يكن أمام خزعل سوى الاستمرار، رفع شعار «إما لحودها وإما كراسيها»، فتوافد عليه ٢٥ ألف مقاتل من الأحوازيين، فجهزهم بأسلحة حديثة ووزع عليهم المهمات، ثم دعا جيرانه من القبائل الإيرانية المعادية لرضا خان للاشتراك معه في تلك الثورة، فلبى دعوته يوسف خان «أمير مجاهد» ثم وفد اثنان من رؤساء البختيارية وهما مرتضى قليخان، وشهاب السلطنة على رأس ثلاثة آلاف مقاتل ثم التحق بهم عدد كبير من أولئك الرؤساء حتى بلغ مجموع القوات المقاتلة في الأحواز العاصمة ٣٥ ألفاً بين احوازيين وإيرانيين.

عندما اجتمعت تلك القوات لدى خزعل، أعلن حزبا سياسيا اسماه «حزب السعادة»، ثم قدم عريضة رسمية إلى عصبة الأمم سجل فيها دعوى ضد رضا خان رئيس وزراء بلاد فارس بالاعتداء على إمارته العربية المستقلة. كما أرسل عبر السفير التركي في طهران برقية إلى المجلس النيابي الإيراني يشكو فيها مضايقة رضا خان. أما الأخير، فأعلن في أكتوبر ١٩٢٤ التعبئة العامة، فتقاطرت جميع الفرق الإيرانية على طهران ثم أمرها أن تسير إلى الأحواز، فزحفت تلك الجيوش بعد أن قسمت إلى أربع فرق، كل فرقة منها سارت في اتجاه لغزو الأحواز من كل نواحيها، وكانت هذه أكبر تعبئة شهدتها إيران الحديثة في تاريخها العسكري «قبل الحرب العراقية- الإيرانية». للتصدي لهذا الغزو، تموضع جيش الأحواز على طول جبال البختيارية، وطيلة شهرين من المناوشات والقتال لم تتمكن الجيوش الإيرانية من اختراق حدود الأحواز وباءت جميع محاولاتها العسكرية بالفشل فما كان من رضا خان إلا أن التحق شخصيًا بتلك الجبهة.

عندئذ تدخلت بريطانيا، وشرعت بتمثيل دور الوسيط المحايد، وطلبت من خزعل وقف القتال وحل النزاع بالطرق السلمية مقابل الشروط التي يرتضيها، وما إن وافق خزعل على ذلك حتى تم أسره مع ولده ولي عهده عبد الحميد في ١٨ أبريل ١٩٢٥ فنفيا إلى طهران، فيما دخل رضا خان الأحواز محتلًا. وقد وردت في مذكراته، وصية لابنه محمد رضا شاه «لقد طهرت لكم شاطئ الخليج الشرقي من العرب، وعليكم مسؤولية تطهير الشاطئ الغربي منهم».

العلويون في تركيا.. مشاكلهم ومطالبهم

محمد زاهد غول – القدس العربي ٢٠١٤/٤/٢١

تبنّت حكومة حزب العدالة والتنمية منذ صعودها إلى السلطة منهجاً يركز على سياسة الانفتاح والحل بشأن القضية العلوية، وأطلقت عام ٢٠٠٩ سلسلة من المؤتمرات لحل القضية العلوية برعاية وزير الدولة «فاروق تشليك»، وهي تجربة أولى لم يقدم أحد على تنفيذها قبل ذلك، إلا أن هذه التجربة لم تسهم إلى الآن في إيجاد حلول عملية لهذه القضية.

لا يخفى على أحد أن المواطنين العلويين في تركيا قبل عشر سنوات مضت كانوا يتعرضون لضغوط من الدولة ومن أفراد الحيّ بوسائل وأشكال مختلفة، بعض النظر عن الطبقة التي ينتمون إليها. وفي الواقع فإن مشاكل العلويين هي مشاكل نابعة في الأساس من البناء السياسي والاجتماعي في تركيا الذي يؤثر فيه جميع المواطنين بشكل أو بآخر. وإذا ما نظرنا للمشاكل التي يعاني منها العلويون نجد أن أياً منها لا يحمل في طياته صفة بنيوية، بل يمكن حل بعضها بإدخال تعديلات على الدستور والقوانين، وأما القسم الأكبر منها فيمكن حله خلال فترة

قصيرة من خلال بعض الإجراءات من قبيل التطبيقات الشرطية ذات الصلة.

وأما تلبية بعض طلبات العلويين مثل إعادة فتح التكايا الخاصة بهم فتحتاج إلى تعديلات أكثر جذرية. وفي هذا السياق، نرى أن مسألة اعتبار بيوت الجمع أماكن عبادة العلويين في تركيا – أماكن للعبادة معترف بها من قبل الدولة تأتي في مقدمة الطلبات التي يتفق عليها جميع ممثلي الطائفة العلوية تقريباً. غير أنه علينا ألا ننسى أن الدولة ليست لديها سلطة أو صلاحية تسمح لها بالاعتراف ببيوت الجمع على أنها أماكن للتعبد. ويمكن الاعتراف ببيوت الجمع ودعمها من قبل وزارة الثقافة كحل وسط بدون الدخول في مناقشة مسألة تعريف العبادات لدى الدولة.

أصوات العلويين تُسمع من الآن فلاحقاً

يطالب العلويون في تركيا ببعض المطالب التي يمكن أن نصفها بـ«غير المباشرة»، وهذه المطالب هي إلغاء رئاسة الشؤون الدينية، وحظر الدروس الدينية الإلزامية في المدارس، وحتى إلغاء مبدأ العلمانية وغيرها من المطالب التي لا تهم مسألة تحسين أوضاع العلويين بشكل مباشر، والتي حتى إن تم تطبيقها ستشكل تدخلاً في حقوق سائر أطياف المجتمع. وقد أعرب العلويون عن استيائهم وقلقهم من التصريحات التي تطلقها الغالبية العظمى من السنّة في تركيا بشأن عدم اعتبار العلوية مذهباً أو طائفة إسلامية.

وتظهر المعطيات التي بين أيدينا حالياً أن الغالبية من السنّة بدأت تسمع أصوات العلويين ومطالبهم، وأصبحت أكثر استعداداً لفهمهم، الأمر الذي أحيا آمال الكثيرين بشأن حل مشكلة التفرقة بين السنيين والعلويين في تركيا.

تقرير العلويين

أعدت إحدى المؤسسات البحثية تقريراً حول المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها العلويون في تركيا بهدف إلقاء الضوء عليها. ويعكس التقرير وجهة نظر المجتمع التركي وتوجهاته السياسية والاجتماعية إزاء القضية العلوية. وقد مرت عملية إعداد التقرير بمراحل من الشفافية واحترام المعايير كي يعكس الحقائق دون نقص أو زيادة. وقد قامت بإعداد التقرير لجنة مكونة من ٦٤ شخصاً ما بين أكاديميين وعلماء اجتماع وإحصاء وسياسة وغيرهم. وأجريت الدراسة عبر عقد لقاءات مع ٢٢١٧ جمعية مختلفة، منها ٦١٤ جمعية علوية، في ٢٦ محافظة في عموم تركيا.

مطالب وتأويلات مختلفة

أظهرت هذه الدراسة أن تعريف العلوية وكذلك الحقوق التي يطالب العلويون المقيمون في مختلف مدن تركيا تختلف كثيراً عن بعضها البعض، كما أشارت إلى أن العلويين أنفسهم ليس بينهم اتفاق في وجهة النظر حول ما إذا كانت العلوية طريقة صوفية أم مذهباً منفصلاً أم ديناً مستقلاً أم حتى مجموعة عرقية؟ فبينما يؤمن ٤٨,٦٪ من الذين خضعوا للدراسة من العلويين أن العلوية ما هي إلا مذهب إسلامي، قال ١٩,١٪ إنها توجه ثقافي، فيما أقرّ ١٢,٣٪ بأنها دين مستقل. هذا في الوقت الذي اعتبر فيه ٥٧,١٪ من الخاضعين للدراسة من غير العلويين أن العلوية هي مذهب إسلامي.

ونرى من خلال هذه الدراسة أن العلوية خرجت في بعض مدن تركيا من كونها معتقداً دينياً وأُلبست حُلّة الهوية العرقية، وعندما وُجّه سؤال إلى ممثلي الجمعيات العلوية التي خضعت للدراسة مفاده، أي المجموعات العرقية التي تعتبرون أنفسكم تابعين لها؟، أجاب ٢١,٣٪ أنهم يعتبرون أنفسهم مجموعة عرقية مستقلة، فيما أجاب ١٧,٢٪ من الخاضعين للدراسة و١٨,٥٪ من المواطنين العلويين أنهم لا يتبعون مجموعة عرقية منفصلة، بل هم مواطنون أتراك يقيمون في جمهورية تركيا. وهو ما أظهر بوضوح أن تعبير ،أنا مواطن تركي وطني تركيا «الذي وضعه رئيس الوزراء، رجب طيب أردوغان» للتخلص من مسألة الهوية، قد لاقى ترحيباً لدى قسم كبير من المجتمع التركي.

وكشفت الدراسة أن ٦١,٣٪ من العلويين في

تركيا لا يؤمنون بأي إيديولوجية فكرية معينة، وأن ٣١٪ منهم يؤيدون الفكر اليساري، و٧,٧٪ منهم يدعمون الفكر اليميني.

وأضافت أنه رداً على سؤال حول توجهات الهوية الدينية، أجاب ٧٦,٤٪ من الخاضعين للدراسة أنهم «علويون»، فيما وصف ٢٠,٧٪ أنفسهم بأنهم مسلمون.

وأكد ٢٩,١٪ من العلويين المشاركين في الدراسة أنهم لا يذهبون إلى بيوت الجمع، بينما أشار ٣٠,٤٪ أنهم يحصلون على معلوماتهم الدينية من عائلاتهم، و٢٣,٧٪ أنهم يحصلون عليها من الكتب، وأوضح ١٦,٢٪ أن بيوت الجمع تشكل بالنسبة مصدراً لاكتساب المعلومات الدينية.

المشكلة المشتركة مختلفة للغاية

وجّه القائمون على الدراسة سؤالاً إلى المشاركين في البحث مفاده، «ما هي أكبر مشكلة تواجهها تركيا؟»، فجاءت مشكلة العلويين في المركز الـ١٣ على قائمة أكبر المشاكل التي تواجهها تركيا، فيما أعرب ١٪ الخاضعين للدراسة أن هذه القضية تلقى الدعم اللازم. فيما اعتبر العلويون المشاركون في الدراسة أن مشكلتهم تحتل المرتبة الـ٨، وقال ٢,٨٪ أن القضية تلقى الدعم الكافي.

وتلقى المشاركون في الدراسة سؤالاً يقول «هل تعتقد وجود مشكلة للعلويين في تركيا؟»، فأجاب ٨٧,٢٪ من العلويين بأن هناك مشكلة يعانون منها في تركيا، في وقت أقرّ ٣٣,١٪ فقط من غير العلويين الخاضعين للدراسة بهذه الحقيقة. وبالنظر إلى اختلاف العرق، اعترف ٣٣,٩٪ من الأتراك بوجود المشكلة، فيما أقرّ ٥٧٪ من الأكراد بوجودها.

وأضافت الدراسة أن ٧٤,٩٪ أجابوا بنعم بإصرار على سؤال «هل تؤمن بضرورة اعتراف الدولة ببيوت الجمع على أنها أماكن للعبادة؟»، في الوقت الذي أعرب ٢٨,٢٪ من الخاضعين للدراسة من غير العلويين عن اعتراضهم على هذه الخطوة ورفضهم لها.

وطالب ٧٣,٣٪ من العلويين المشاركين في الدراسة بضرورة تشكيل هيئة عليا مستقلة تهتم بشؤونهم الدينية كرئاسة الشؤون الدينية التي تهتم بشؤون الأغلبية من السُنّة، فيما أعرب ٢٣,٩٪ فقط من الخاضعين للدراسة من غير العلويين عن دعمهم لهذا المقترح، ما يثبت لنا عدم وجود اتفاق مجتمعي حول هذه القضية.

قضية التمثيل السياسي

أجاب ٦٠٪ من العلويين المشاركين في الدراسة بالإيجاب على فكرة تأسيس حزب سياسي يمثلهم، فيما أكد ١٠٪ فقط من الخاضعين للدراسة أن هناك حزبا سياسيا قائما بالفعل يمثل العلويين في الحياة السياسية في تركيا.

من الملاحظ أن حكومة حزب العدالة والتنمية تسير بخطى ثابتة من أجل إيجاد حل لمشاكل العلويين، غير آبهة بوجود العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجهها تركيا في الوقت الراهن، وذلك بالرغم من تصرف العلويين أنفسهم إزاء الحكومة وفق الأحكام المسبقة، وينبغي للحكومة اتخاذ خطوات أكثر جذرية من أجل حل هذه المسألة. وحتى أن إظهار إرادة حل المشكلة يعني أن هناك سعيا جادا لمواجهة الماضي، وهو ما يعتبر في حد ذاته مكسباً كبيراً.

وبدأت في عام ٢٠٠٩ مبادرات الانفتاح التي أطلقتها حكومة حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا من أجل إيجاد حلول لمشاكل مستعصية يأس أصحابها من حلها في الماضي، وقد حاولت حكومة الحزب الحصول على دعم المعارضة في هذه المشاكل المستعصية، لكن دون جدوى.

غير أنها حصلت على دعم العديد من المثقفين والعلماء وأصحاب الرأي من الذين يؤمنون بأن النُهُج التقليدية لن تحل المشكلة ولن تحقق الوحدة والتكاتف بين أبناء الوطن الواحد.

وفي الوقت الذي أقدمت فيه الحكومة على خطوات جديرة بالملاحظة من أجل حل القضية الكردية، لم تظهر الحماس ذاته في التعامل مع قضايا العلويين من أجل فهمها والعمل على حلها. وتعتبر عملية الاستقطاب السياسي التي شهدتها تركيا مؤخراً والموقف المتشدد للمعارضة من العوامل الأساسية لتفاقم هذا الأمر. بيد أن المسألة العلوية ـ مثلها كالقضية الكردية ـ من الممكن أن تتسبب في نشوب صراعات اجتماعية، وتمهد لأرضية خصبة لمحاولات الاستغلال الدنيئة الرامية لتهديد وحدة الوطن، وينبغي لتركيا في الوقت الذي تسعى فيه لأن تكون مؤثرة في محيطها الخارجي، أن تبذل جهوداً حثيثة من أجل تحقيق الوحدة والترابط بين أبنائها بكافة أطيافهم وتوجهاتهم، ولكن علينا ألا ننسى أن هذه المهمة لا تقع على عاتق الحكومة فحسب، بل هي قضية تهم كل فرد في تركيا.

النظام مصدر المشكلة

إن المشاكل التي يواجهها علويو تركيا في الوقت الراهن تحتاج إلى دراسات جادة دون التغاضي عن أبعادها التاريخية والسياسية والاجتماعية، ويتحتم علينا عدم الاكتفاء بتحليل موقف الحكومة ومطالب العلويين والظروف التي تعيشها تركيا الآن من زاوية منظورة فقط، بل يجب القيام بعملية استطلاع رأي شاملة من أجل رصد الصورة الواقعية قدر المستطاع، كما يجب علينا ألا ننسى أن وصف القضية العلوية بـ'المشكلة' هو مشكلة في حد ذاته، فيجب الاعتراف أن هناك مشكلة ومصدرها هو النظام الذي لم يلبِ مطالب العلويين.

إن السياسات التي انتهجتها الحكومات المتعاقبة في تاريخ جمهورية تركيا علّقت العمل على حل العديد من القضايا، وعلى رأسها مسألة العلويين لفترة طويلة. إلا أن مبادرات الانفتاح التي أقدمت الحكومة على طرحها مؤخراً أولت اهتماماً أكبر بتناول قضايا العلويين، الأمر الذي رفع من سقف مطالبهم، خصوصاً وأن العديد من السياسيين بدأ بتقديم الوعود لحل مشاكلهم.

إيران ومحيطها الأمني

د. سلطان محمد النعيمي – الشرق الأوسط ٢٠١٤/٤/٢٠

تنتهج الأنظمة التي تراودها الشكوك من نيات الدول الأخرى والرغبة في الإطاحة بها، أساليب تجد فيها الطرق الناجعة لدرء تلك المخاطر. ويأتي توسيع المحيط الأمني نموذجا لدرء تلك الهواجس. إن دراسة مفهوم المحيط الأمني وأثره على مدى بعد أو قرب التهديد، وإسقاط هذه الدراسة على دولة مثل إيران ونظامها، ربما تعلل سبب استمرار نهج النظام الإيراني لسياساته التي تأتي مغايرة في العديد من المواقف لتوجهات دول المنطقة، بل إنها تسير في بعض الأحيان مهددة لاستقرار المنطقة.

بداية، يعرف المحيط الأمني بأنه الحيز أو المساحة التي في حال جرى اختراقها من قبل طرف آخر بأي وسيلة من الوسائل، يعدّ تهديدا مباشرا لأمن تلك الدولة. ويتوقف نطاق المحيط الأمني على قدرة البلد وسعة نفوذه في العالم الخارجي، فكلما كانت قدرة ونفوذ البلد ضئيلة، كان محيطه الأمني محدودا أيضا، والعكس صحيح.

لقد كان للتحولات التكنولوجية واختراع الأسلحة بعيدة المدى، دور في زيادة القابلية العسكرية للدول للقيام بالهجوم ما وراء الحدود الوطنية، وبالتالي دفع دائرة التهديدات إلى أبعد نقطة خارج تلك الحدود. وتتمثل تلك الوسائل في التالي: الصواريخ الباليستية بعيدة المدى، والطائرات الهجومية، والخلايا والتنظيمات السياسية أو العسكرية في الدول المجاورة، وإنشاء قواعد وتحالفات عسكرية، وإقامة نظام أمني مع دول الجوار.

يلتفت صانع القرار السياسي والاستراتيجي والعسكري داخل دائرة النظام الإيراني ليجد نفسه منذ نجاح الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، مع سقوط الشاه وظهور الجمهورية الإيرانية، محاطا بالتهديدات. فالنظام الإيراني لا يزال ينظر إلى الغرب بعين الريبة، ويرى أن الهدف المنشود للساسة هنالك هو الإطاحة بالنظام القائم في إيران. ويأتي الوجود الأميركي في أفغانستان بعد أحداث ١١ سبتمبر (أيلول) يليها الاحتلال الأميركي للعراق في ٢٠٠٣، ليزيد من تلك المخاوف التي لا تفتأ تظهر في تصريحات المسؤولين الإيرانيين، فمرشد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي في تصريحاته الأخيرة يرى أن الغرب مهتم بتغيير النظام، أكثر من إنهاء الخلاف الخاص ببرنامج بلاده النووي.

هذه المخاوف دفعت بالنظام الإيراني إلى السعي الحثيث لتأمين محيطه الأمني، والسعي إلى الدفع به بعيدا عن حدود الدولة. من هذا المنطلق طالب النظام الإيراني بإقامة نظام أمني في الخليج يضم إيران مع دول الخليج العربي، وأكد أن أمن الخليج رهن بالدول المطلة عليه، وبالتالي لن يعود للوجود الأجنبي مبرر لبقائه والذي يأتي بدوره مهددا له.

لا شك أن مثل هذه الفكرة التي جاءت في مقال سابق لوزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف في صحيفة «الشرق الأوسط»، تلقى قبولا في شكلها وإطارها العام، غير أن السير بعيدا في تفاصيلها يجعل المتتبع يتساءل كيف يمكن لهذه الفكرة أن تبصر النور في ظل الملفات العالقة بين إيران ودول الخليج العربي من قبيل قضية الجزر الإماراتية المحتلة والاستمرار في التدخل في شؤون دول الخليج، وغير ذلك من الإشكاليات التي تأتي بحق معضلة أمام مثل هذا الطرح.

وبالتزامن مع هذه النداءات، فإن النظام الإيراني لم يدخر جهدا في الوقت ذاته لتوسيع محيطه الأمني عن طريق السعي للحصول على الوسائل الأخرى التي من شأنها تحقيق ذلك المبتغى، من قبيل تطوير منظومة الصواريخ بعيدة المدى والتي يصل مداها إلى قرابة ألفي كيلومتر.

ويأتي ما يطلق عليه بمحور المقاومة واستمراره هدفا منشودا للنظام الإيراني لتعزيز محيطه الأمني. فبقاء الحليف الاستراتيجي المتمثل في نظام بشار الأسد، بالإضافة إلى الاستمرار في دعم حزب الله وحركة حماس والجهاد الإسلامي.. هو لا شك رادع معزز للمحيط الأمني للنظام الإيراني. ولذا يرى قائد فيلق القدس قاسم سليماني أن دعم المقاومة هو الضمان الحقيقي لمصالح إيران، وتأتي جبهة المقاومة بوصفها أحد العوامل الرئيسة التي تضمن المصالح الوطنية في الحاضر والمستقبل.

هل اتضح إذن لماذا يستميت النظام الإيراني دفاعا عن الأسد؟ وهل أدركنا الآن المعنى الحقيقي لتصريح قائد سلاح الطيران في الحرس الثوري الإيراني، حين قال إن بقاء الأسد في السلطة لأن إيران أرادت ذلك؟

إن استشراف المستقبل يشير إلى أن النظام الإيراني في ظل مخاوفه وهواجسه من نيات الغرب، سيدفع لا شك إلى سعيه لتوسيع محيطه الأمني، والذي سيخلق من جانبه مزيدا من الاضطرابات في المنطقة.

لا خلاف على أن إيران دولة إقليمية مؤثرة في المنطقة ولها الحق في الحفاظ على مصالحها، ولكن تبقى هناك قواعد للعلاقات الدولية لا بد من مراعاتها.. فتوسيع هذا المحيط ليأتي على حساب الدول المجاورة سيخلق معه المزيد من التوتر، وهو أمر يتنافى مع ما تقدمت به حكومة روحاني نحو تعزيز العلاقات بدول المنطقة وخاصة الخليجية منها، ويضع معه تساؤلا حول مبادرة روحاني الأخيرة لإقامة تعاون إقليمي مشترك، باعتبار أن الأمن في المنطقة هو مسؤولية جميع دولها عبر منظمة أو اتفاق.

إن فكرة التعاون الإقليمي المشترك التي تقدم بها الرئيس الإيراني حسن روحاني ستلقى

الترحاب من دول الخليج العربي، مثلما رحبت بتصريحات الرئيس الإيراني مع وصوله للسلطة. ولكن ما لا بد من مراعاته هو وجود أرضية مشتركة تقوم على أساس احترام خصوصيات الدول وعدم التدخل في شؤون الآخرين، وأن يأتي ذلك التعاون مراعيا لجميع الدول، وألا يأتي الثقل الإقليمي لبعض دول المنطقة بالصورة التي تجعل من دور بقية دول الخليج العربي لاغيا.

استمرار الخلافات والتباين لن يجدي نفعا للمنطقة، ولن يتحقق الأمن والاستقرار لدول الخليج العربي إلا بالجلوس خلف طاولات التحاور لطرح وجهات النظر، وحل الخلافات للوصول إلى المقاربات التي ستنعكس أصداؤها بشكل إيجابي على شعوب المنطقة.

الاستراتيجية الإيرانية في التأثير على القرار الأمريكي

أصلان الطيب نحاس – مجلة المجلة ٢٠١٤/٤/١٢

التلاعب بالخصم

السياسة الإيرانية سياسة معقّدة لمن لا يفهم طريقة التفكير الإيرانية والأدوات التي يوظفها النظام في سبيل الحفاظ على وجوده، لكنها في نفس الوقت سياسة قابلة للفهم والتفكيك والمواجهة إذا تمّ استيعاب الخلفيّة الاستراتيجية التي يتحرّك الإيراني ضمنها. لقد طوّر النظام الإيراني مع الوقت سلسلة من المفاهيم والأدوات والممارسات المستمدة من خلفيته التاريخية والثقافية والطائفية وحوّلها إلى عقائد إستراتيجية يجري استخدامها وتوظيفها في إطار رؤية سياسية محددة الأهداف والمعالم أولويتها حماية النظام وتفكيك وتحييد المخاطر الخارجية عليه.

رغم أن إيران لا تملك من القوة المادية ما يخوّلها فعل ذلك، فإنّ هذه العقائد الاستراتيجية القائمة بشكل أساسي على مفاهيم كالغموض والخداع والتقيّة والفبركة والتلاعب والتمويه والتشتيت والتغطية والإنكار والاستغلال والتوظيف والازدواجية والاختراق والترهيب والردع والمواجهة غير المتوازية، نجحت حتى الآن في أن تشكّل توليفة من الأدوات التي تسلحت بها سياسيا وعمليا وتحوّلت جميعها مع مرور الوقت إلى جوهر ما يمكن تسميته بـ«فن البقاء الإيراني» الذي يتمحور حول تأكيد حالة عدم اليقين لدى الآخر تجاه نوايا وتحرّكات إيران.

عندما يكون الخصم على دراية تامة بخلفية المستهدف وتاريخ وطريقة تفكير وتصرف ورد فعل خصمه، فإنه يكون قادرا على توقّع الخطوات التي من الممكن أن يقوم بها، وهو ما يساعده على استهدافه بشكل فعّال وربما استباقي أيضا. أمّا إذا كان الخصم في حالة من عدم اليقين إزاء قدراتك أو طريقة تفكيرك أو تصرّفك فعندها لن يكون قادرا على توقّع تصرّفك، وبالتالي لن يكون قادرا على التفكير بشكل صحيح أو اتخاذ القرار الصحيح بشأنك، وهو ما يعني أنك استطعت التأثير في سلوكه بما يخدم مصالحك، وربما شلّه عن الحركة تجاهك، وهو ما فعلته إيران بالضبط تجاه الغرب خلال مراحل متعددة.

لقد استخدمت إيران هذه التكتيكات بشكل منهجي مدروس لحماية نفسها، وقد شكّلت الولايات المتّحدة كما غيرها من الدول مسرحا لممارسة هذه المفاهيم، إذ ركّزت السياسة الإيرانية على استهداف الجانب الأميركي كما غيره من اللاعبين الإقليميين والدوليين من أجل التأثير على قراره السياسي والعسكري خصوصا. ولأن تناول هذه التكتيكات بشكل مفصل غير ممكن في مقال، فإننا سنتناول بعض النماذج المحدود للإشارة إلى جوهر السياسة الإيراني في التأثير على السياسة الأميركية تجاهها، ومنها:

نموذج التلاعب: سياسة توزيع الأدوار.. المعتدل في مقابل المتشدد

تؤدي هذه السياسة إلى إعطاء انطباع للخارج بأن هناك شقّين داخل إيران مختلفين بشكل

جذري عن بعضهما البعض، مع العلم أن اختلافهما ليس جذريا حول طبيعة النظام وإنما داخله. ويخلق هذا التقسيم نوعا من التشويش لدى الطرف المراقب أو الذي يتعامل مع إيران من الخارج:

❖ في حال وجود محافظ في السلطة: يبقى لدى الخارج أمل على الدوام في إمكانية التوصل إلى حل حال وصول وجه إصلاحي معتدل إلى صناعة القرار في إيران. وهذا النوع من التفكير يجعله يحجم عن أي ضربة شاملة لإيران أو عن أي ضغط كبير مخافة أن يؤدي ذلك إلى ضياع الفرصة (المأمولة)، أو أن يتحوّل الجميع إلى متشددين محافظين، أو أن يؤدي ذلك إلى إضعاف الإصلاحيين.

❖ في حال وجود إصلاحي في السلطة: يحاول الخارج الانخراط الفعّال مع إيران دون حذر ما يؤدي في النهاية إلى أن يجري خداعه واستغلال جهوده لكسب المزيد من الوقت. أما في حال انخراطه الحذر فإنه يصطدم في النهاية بالقرار النهائي الذي يعود للمرشد، ويعود بعدها للمربع الأول، صعود محافظ، وهكذا يدور في هذه الحلقة المفرغة، وفي هذا الوقت تتقدم إيران نحو هدفها.

تخلق هذه الثنائية وَهما لدى الطرف الخارجي بالأمل دوما في التوصل إلى حل يعتقد أنّه حقيقي، لكنّ هذا الوهم يوفر للنظام الإيراني دوما الوقت اللازم للمراوغة السياسية، ولتفكيك أي نوع من التحالف الخارجي الذي قد ينشأ وذلك نتيجة توزّع الآراء بين من يرى أن هناك توجهات متناقضة في الداخل الإيراني يمكن الاعتماد على أحدها في إضعاف الآخر وبين من يعد أن ذلك غير ممكن. بمعنى آخر، فإن هذه الثنائية قد تنقل الخلاف أيضا حول طريقة التعاطي مع النظام الإيراني إلى داخل دائرة الخصم. وقد اختبر الخارج ذلك في مراحل متعددة سواء في عهد خاتمي أو أحمدي نجاد أو الآن في عهد روحاني.

نموذج الاستغلال والتفكيك: سياسة التفاوض المفتوحة

وهي سياسة تقوم على الدعوة الدائمة إلى التفاوض (بشرط أن يكون وضع إيران أفضل من الطرف الآخر في الغالب، أو إذا كان وضع الطرف الآخر سيئا وبحاجة إلى مساعدة طهران وفق الرؤية الإيرانية). والتفاوض في المفهوم العام يعني الاستعداد لبحث مسألة ما لتجنّب التصعيد. وفي الثقافة الغربية الحديثة فإن الرسالة المباشرة التي تُفهم من دعوتك إلى التفاوض هي رسالة إيجابية تعني أنك مستعد لأن تبحث المسائل الخلافية وأن تجلس على طاولة المفاوضات في سلوك حضاري للتوصل إلى تفاهم. لكن في الثقافة الإيرانية فإن التفاوض هو مجرد أداة ليس الهدف منها الوصول إلى حل بقدر ما هو:

❖ الإيحاء بأنّ طهران طرف موثوق وحضاري ويسعى إلى حل، لكنها في حقيقة الأمر تكون تسعى إلى المماطلة وكسب الوقت قدر المستطاع.

❖ التحضير لجولة أخرى من المفاوضات عبر الانسحاب من المفاوضات، بمعنى أن التفاوض في هذه الحالة هدفه التحضير للتفاوض المقبل وليس للوصول إلى هدف في أي حلقة التفاوض المفرغة.

❖ في حال شعرت إيران بوجود فرصة لتحقيق أهدافها، فإن هذه المفاوضات تتحول فورا إلى محطّة لتحقيق انتصار موضعي على الخصم عبر الحصول على المكاسب من دون تقديم أي تنازلات.

❖ المفاوضات أيضا في السلوك الإيراني هي عبارة عن أداة لتفكيك الخطوة التي من الممكن للطرف الآخر الإقدام عليها حال شعرت أنه جدي وأنه يحضّر لشيء ما ضدّها. وعندما تنجح في مسعاها هذا وتفكك خطوة الخصم، فإنها تعود إلى سلوكها القديم، فإذا عاد، عادت هي بالدعوة إلى التفاوض.

وقـد اسـتخدمت إيـران هـذه التكتيكـات التفاوضيّة مع الولايات المتّحدة بشكل مباشر وغير مباشر في عدد من المحطات في أفغانستان والعراق والملف النووي. ويكفي أن المفاوضات في الملف النووي لا تزال تمضي منذ عام ٢٠٠٣، وخلال هذا الوقت أصبحت إيران قاب قوسين أو أدنى من تحقيق برنامجها النووي بشكل كامل في الوقت الذي لم يحقق فيه الطرف الآخر أيا من أهدافه الرئيسة في منع إيران من التقدّم حتى الآن.

نموذج الردع والمواجهة غير المتكافئة

تعاني إيران من نقاط ضعف هائلة من ناحية قدراتها العسكرية التقليدية، ولذلك فهي تعتمد على استراتيجية تقوم على تطوير قدرات المواجهة اللاتناظرية. ومضمون هذه الاستراتيجية هو طالما أنك لا تمتلك الموارد أو الأدوات اللازمة لمواجهة الخصم بنفس الطريقة والأسلوب وبنفس حجم ونوعية الأسلحة التي يهددك بها في لعبته، فالأفضل تغيير قواعد اللعبة برمتها عبر تحصين الذات من الناحية الدفاعية أولا، ومن ثمّ مواجهته بطرق غير تقليديّة لا ترقى بالتأكيد إلى حجم ونوعية ما يمتلكه الخصم ولكنها قادرة على إيلامه ورفع تكلفة أي انتصار محتمل له لدرجة تدفعه إلى إعادة حساباته طالما أن نجاحه سيكون مكلفا للغاية هذا إذا نجح به.

ويمكن إعطاء مثال صغير (لتقريب الفكرة وحسب) على هذا التوجه وهو أنّك وبدلا من أن تستخدم طائرة لمواجهة طائرة طالما أنك غير قادر على شرائها أو صناعتها أو تطويرها، فإنك تستخدم صاروخا مضادا للطائرات في مواجهة الطائرة، فالصاروخ أقل تكلفة بالتأكيد وأقل حجما وأسهل شراء وتخزينا واستخداما، وهكذا على كافة الأصعدة العسكرية.

هذا النوع من الاستراتيجية يحتاج إلى تخطيط معقّد وإلى إدارة مجموعة واسعة جدا من الأدوات الدفاعية والهجومية لإعطاء النتيجة المأمولة وأن تكون قادرا في نفس الوقت على تحمل الضربة الأولى ومن ثم الرد المباشر وغير المباشر وتوسيع دائرة المواجهة والاعتماد على الإرهاب والاستعداد لتحمل الخسائر البشرية بشكل يزيد على قدرة الخصم على تحمل خسائره البشرية وجعل الخصم في حيرة من أمره حول الطريقة المثلى للتعامل معك انطلاقا من عدم يقينه حول حقيقة كونك تتصرف بناء على حسابات عقلانية أو بناء على توجهات غير عقلانية انتحارية.

وتتضمن هذه الاستراتيجية أيضا تعزيز القدرات الاستخباراتية ووسائل الحروب غير التقليدية والقيام بعمليات تضليلية وبحروب بالوكالة واستخدام الإرهاب والجماعات المسلّحة نصف الحكوميّة أو شبه العسكرية (بمعنى أنّها ليست جماعة إرهابية بسيطة وليست في نفس الوقت جيشا نظاميا كحزب الله في لبنان والحوثيين وبعض الجماعات الشيعية في العراق) ومجموعة واسعة من التشكيلات العسكرية المتخصصة (كالحرس الثوري والباسيج). وهو ما تفعله إيران بالضبط عبر تطوير قدراتها اللاتناظرية البريّة والبحرية ورسم خطوط حمراء وسياسة حرب نفسية.

نموذج الاختراق والتوظيف: بناء لوبي إيراني في أميركا

بذلت إيران خلال العقد الماضي جهودا كبيرة لبناء لوبي لها داخل الولايات المتّحدة الأميركيّة انطلاقا من حقيقة أن النظامي السياسي في واشنطن يبقى مفتوحا بطبيعته على التأثير من قبل اللوبيات، وبالتالي فإن محاولة التأثير على صناعة القرار من داخل واشنطن ليست بالأمر المستحيل.

وقد استفادت طهران أيضا من الشعور القومي للإيرانيين في الخارج ليصب في مصلحتها، إذ من المعروف أنّ الإيرانيين لا يتهاونون في الدفاع عن بلدهم ضد أي نوع من أنواع الأذى الذي قد يلحقه سواء أكان اقتصاديا أو عسكريا وإن كان بعضهم في مرحلة ما ولسبب ما أو ظرف ما على خلاف أو عداء أو صدام مع نظام الملالي. وقد ساعد هذا المنطق النظام الإيراني على تجنيد

الكثير من الإيرانيين المعروفين الذين يشغلون مواقع مرموقة في الخارج للعمل لصالحه ولعل أكثرهم جدلا في هذا السياق «تريتا بارسي» الإيراني المولد.

وعلى الرغم من أنّ بارسي كان قد ألّف كتاب «التحالف الغادر: التعاملات السريّة بين إسرائيل وإيران والولايات المتّحدة الأميركية» وهو أحد الكتب القليلة القيّمة التي تكشف طبيعة العلاقات والمصالح المتبادلة بين هذا المثلث، لكن سرعان ما قامت إيران باستغلال المؤلف وتوظيفه لصالحها كما تفيد المعلومات، وسرعان ما أسس بارسي وترأس «المجلس الوطني الإيراني الأميركي» الذي أصبح بمثابة «لوبي إيراني غير رسمي» يعمل لصالح إيران في واشنطن تحت يافطات مختلفة، كما أنّ بارسي عمل مستشارا لعضو الكونغرس الأميركي بوب ناي (نياك) عضو المجلس الإيراني الأميركي وهو ما أوجد لإيران منفذا آخر أيضا للدخول إلى الكونغرس.

بالإضافة إلى ذلك، أوجدت طهران نوعين من اللوبيات الإيرانية في الولايات المتّحدة الأميركية:

١- لوبي الوسط الإعلامي والبحثي والأكاديمي: استطاعت طهران الدخول إلى الوسط الإعلامي والدوائر التي تساعد على التأثير في الرأي العام وصناعة القرار، فأوجدت صحافيين وباحثين وناشطين في الصحافة والإعلام ووسائل التواصل والمراكز البحثيّة في الولايات المتحدة ويركزون على استهداف مستويات متعددة من صناعة القرار الأميركي بدءا من الرأي العام ووصولا إلى الكونغرس. وهؤلاء الأشخاص يشكّلون مجموعة لها درجات مختلفة من التواصل مع الحكومة الإيرانية، ويقال إن نائب وزير الخارجية الإيراني سابقا صادق خرازي الذي عاش لفترة جيدة من الزمن في الولايات المتحدة كان صاحب الفكرة في إنشاء هكذا لوبي وتطويره.

٢- لوبي التجارة والأعمال والمصالح الاقتصادية: ويعمل بموازاة المصالح والتجارة والأعمال الأميركية وخصوصا في قطاع الطاقة والنفط. هؤلاء لديهم تواصل مع السوق الإيرانية بطريقة أو بأخرى بشكل مباشر وغير مباشر وعلني وسري وبمستويات متعددة ويرتبطون أيضا بالأسواق العالمية، ويخشون أن تعرض إيران لمزيد من الضغوط قد يضر بمصالحهم على المستوى العالمي. وبالنسبة إلى هؤلاء، فإن المصالح المادية والمكاسب المالية تتجاوز بالنسبة لهم أهمية الأمن القومي الأميركي وهي نقطة ضعف تستغلها إيران إلى أبعد الحدود.

لقد ساعدت كل هذه الأدوات على التلاعب بالموقف الأميركي والتأثير به وتفكيك توجهاته لضرب إيران واختراق قلب واشنطن أيضا في محاولة لاستمالتها في ظل تحوّلات دوليّة وإقليمية جيو – سياسية تفتح الباب واسعا أمام إمكانية حصول تحوّلات في المواقف التاريخية بين النظامين، وهو ما سيجري اختباره عمليا في الفترة اللاحقة.

المسلمون الهنود...
بيضة القَبّان في ميزان السياسة الهندية

سمرة فاطمة – موقع قنطرة ٢٠١٤/٤/١٧

نحو ١٤ في المئة من سكان الهند مسلمون، وفي نحو مئة دائرة (١٨ في المئة) من عدد الدوائر الانتخابية في الهند البالغ عددها ٥٤٣ تمثل نسبة المسلمين ممن لهم حق الانتخاب جزءاً كبيراً قد يحسم نتيجة الانتخابات. وتصل هذه النسبة في بعض الدوائر الانتخابية إلى ٤٠ في المئة.

تاريخياً كان حزب المؤتمر هو الموطن السياسي للمسلمين الهنود، ولكن هذا الارتباط أصبح واهياً في العشرين سنة الأخيرة. وبحسب البيانات الرسمية ما زال المسلمون ينتمون إلى أكثر الفئات السكانية تعرضاً للتهميش الاقتصادي، بحسب التقارير الحكومية. لا عجب إذَنْ أنهم

يشعرون بخيبة الأمل من الحكومات المتعاقبة التي يقودها زعماء حزب المؤتمر.

ولكن حزب الشعب الهندي، وهو حزب هندوسي قومي معارض اكتسب في الآونة الأخيرة موجة من الشعبية تحت قيادة ناريندرا مودي (المرشح لمنصب رئاسة الوزراء)، هو بطبيعة الحال لا يمثل خياراً بديلاً بالنسبة لمسلمي الهند. ولن تغير في شيء الاستراتيجيةُ التي ينتهجها مودي في حملته الانتخابية، حيث يقدم نفسه على أنه المنقذ والمخلص لاقتصاد الهند الذي أصابه الضعف. ويقول سانجاي كومار، الخبير في الانتخابات، إن «مسلمي الهند سينتخبون الحزب الذي يعتقدون أن لديه أفضل الفرص لهزيمة حزب الشعب الهندي في الدائرة الانتخابية المعنية».

السياسي القومي الهندوسي نارندرا مودي وهو يلقي خطاباً في ولاية أسام بتاريخ ٣١ / ٠٣ / ٢٠١٤. photo: UNI

السياسي القومي الهندوسي، نارندرا مودي، المرشح لرئاسة وزراء الهند عن حزب المعارضة الرئيسي «بهاراتيا جاناتا». يرى كثيرون أن نارندرا مودي هو الأوفر حظا في الانتخابات. ولكن النقطة الخلافية هي إن كان سيحصل على دعم واسع النطاق من الناخبين المسلمين.

مودي وحزبه...صورة عدائية

من التهم التي تثقل كاهل مودي، رئيس وزراء ولاية غوجارات الهندية (منذ عام ٢٠٠١)، أنه لم يفعل شيئاً ضد أعمال الشغب العنيفة التي حدثت عام ٢٠٠٢ في الولاية، بل إنه دعمها بتخاذله. آنذاك قُتل ما يزيد عن ١٠٠٠ شخص، معظمهم من المسلمين، وشُرد عشرات الآلاف منهم على أيدي حُشود هندوسية متطرفة. قانونياً، لم تكن هناك أدلة تدين مودي، غير أنه لم يحاول أيضاً التقرب إلى السكان المسلمين. كما صمت مودي عند حدوث أحداث الشغب الأخيرة بين الهندوس والمسلمين في شهر سبتمبر (أيلول) ٢٠١٣ في أوتار باراديش، والتي أودت بحياة ٦٥ شخصاً، وشردت ما يزيد عن ٥٠ ألف مسلم من بيوتهم.

كما أن مسلمين كثيرين في الهند ما زالوا يعانون من الصدمة بعد أن قامت جُموع هندوسية متطرفة بتدمير مسجد بابري في ولاية أوتار براديش شمال الهند عام ١٩٩٢. آنذاك أيضاً كانت قطاعات متطرفة من حزب الشعب الهندي متورطة في هذه القضية. ويكوّن المسلمون ربع سكان ولاية أوتار براديش. وقد عانى رجل الأعمال نديم من مدينة كانبور في هذه الولاية من خسائر مالية كبيرة عام ١٩٩٢، حين قام المتطرفون الهندوس بعد تدمير المسجد في مدينة أيوديا المجاورة بالتظاهر في شوارع المدينة. وهو يتحدث بلسان كثيرين عندما يقول: «التاجر لا ينسى خساراته أبداً. وجروح الأمس لم تلتئم بعد».

ويعتبر مختار عباس ناقفي، أحد النوّاب المسلمين القلائل في قيادة حزب الشعب الهندي، وهو يعتبر صورة حزبه العدائية للمسلمين ليست إلا «بروباغندا خبيثة من جانب خصوم الحزب السياسيين». ويعتقد ناقفي أن موقف المسلمين قد تغير بعض التغير خلال السنوات العشرين الماضية.

أنصار حزب آم آدمي AAP يحتجون أمام مقرات حزب بهاراتيا جاناتا BJP في نيودلهي ٠٥ / ٠٣ / ٢٠١٤. photo: Reuters/UNI

تمكن حزب آم آمي في نهاية عام ٢٠١٣ من تحقيق عجيبة من العجائب حين هزم حزب المؤتمر في الانتخابات المحلية في نيودلهي.

خيبة أمل من حزب المؤتمر

يعتقد المراقبون اعتقادا مؤكدا أن معظم المسلمين لن يصوتوا لصالح حزب الشعب الهندي. لصالح مَن سيصوتون إذن؟ للإجابة على هذا السؤال يقول أميتاب كوندو، الأستاذ في جامعة جواهر لال نهرو في نيودلهي ورئيس اللجنة

الحكومية المكلفة بتقييم أوضاع المسلمين في الهند، إن «الحكومة (بقيادة رئيس الوزراء الهندي مانموهان سينغ) لم تحقق سوى نتائج متواضعة للغاية خلال السنوات الخمس أو الست الماضية فيما يتعلق بتحسين وضع السكان المسلمين»، وإنه من المتوقع شعور المسلمين بـ»،قدر ما»، من خيبة الأمل تجاه الحكومة التي يقودها حزب المؤتمر، إذ أنهم كانوا ينتظرون الكثير.

ومن المرجح أن تستفيد من هذا الوضع الأحزاب المحلية، كحزب سماتوادي (الحزب الاشتراكي) وحزب باهوجان سماج BSP الذي أسس ليمثل قطاع المُهَمَّشين، ويتمتع كلا الحزبين بوجود راسخ في ولاية أوتار براديش، أكبر الولايات الهندية من ناحية عدد السكان، وكذلك حزب راشتريا جاناتا دال (الحزب الشعبي القومي) الذي يتمتع بحضور قوي في ولاية بيهار شرق الهند، والحزب المناهض للفساد آم آدمي AAP.

ويرجّح الخبير سانجاي كومار أن المسلمين لن يصوتوا لحزب المؤتمر (الحزب القائد للائتلاف الحاكم) إلا في المناطق التي لن يشهد فيها هذه الحزب منافسة شديدة من الأحزاب المحلية، وأن حزب آم آدمي AAP على وجه الخصوص هو أحد خياراتهم السياسية المفضلة.

رجل الأعمال نديم لا يرى أي أمل في أن يحقق أي حزب من الأحزاب تقدماً حقيقياً لصالح أقليته القومية، فـ «منذ استقلال الهند لم يفعل أحد شيئاً من أجل المسلمين. كلهم يطلقون الوعود نفسها. ولن يفاجئني إذا نسيت الحكومة الجديدة أيضاً أن المسلمين هم جزء من هذا البلد كذلك».

وبالنظر إلى مثل هذه الآمال الضئيلة لدى المسلمين، فمن المرجَّح على الأغلب أن الأمر الحاسم بالنسبة إلى معظم مسلمي الهند خلال التصويت هو أن يختاروا أفضل حزب قادر على منع الزعيم القومي الهندوسي ناريندرا مودي من أن يصبح رئيس وزراء الهند المقبل.

مشاركة السنة في العملية السياسية... قراءة نقدية

د. محمد عياش الكبيسي – صوت الأمة ٢٠١٤/٤/٢٧

السنّة هم وجه العراق الحضاري والسياسي، فهم الذين فتحوه وهم الذين حكموه وهم الذين بنوا مدنه الكبرى كبغداد والبصرة والكوفة وسامراء وواسط، وشيعة العراق لا ينكرون هذه الحقيقة خاصة عندما يتحدثون عن مظلوميتهم التاريخية. يقول النائب الصدري بهاء الأعرجي: «المؤامرة من يوم أبي بكر إلى حزب أحمد حسن البكر»، وهذا اعتراف - رغم ما فيه من وقاحة بحق الصدّيق رضي الله عنه وأرضاه- بأن العراق كان سنيّا طيلة هذا التاريخ منذ أن دخلته جيوش أبي بكر إلى الغزو الأميركي للعراق.

عدم مشاركة الشيعة في الحكم لم يكن بسبب إقصاء السنّة لهم، فهذه مجرد دعاية سياسية معاصرة فيها قدر من التضليل والابتزاز، بل كان ذلك جزءاً من ثوابتهم الدينية، حيث تنص عقيدتهم على أن لا إمامة إلا بالنص، ولا نصّ إلا في اثني عشر إماما آخرهم المهدي، وهو عندهم حي يرزق، وقد اختفى لأسباب معيّنة، والواجب في عقيدتهم العمل على إزالة هذه الأسباب، وليس تولية البديل مهما كان هذا البديل.

جاء الخميني بنظريته التجديدية «ولاية الفقيه» ليفتح المجال لشيعته لتولي الحكم، وقد استند إلى مقدّمات أغلبها يدور حول جواز نيابة الفقيه المجتهد عن الإمام المعصوم، وقد استدل على هذا بحديث (العلماء ورثة الأنبياء). وبغض الطرف عن التفاصيل فإن نظرية الخميني هذه تعدّ اعترافا بفشل النظرية الشيعية في الحكم ورجوعا إلى

النظريــة الــسنّية، فمبــدأ النيابــة عــن المعــصوم لا يختلــف في جــوهره عــن مبــدأ الخلافــة، ولــذلك تعرضت نظريـة الخمـيني هـذه للنقـد الحـاد مـن أغلـب المراجع والمفكرين الشيعة.

للخمـيني أن يفكـر ويجتهـد، لكـن الـذي يـثير الـشك والقلـق حقيقـة أن نظريـة الخمـيني هـذه لم تعـد نظريــة علميــة اجتهاديــة كبــاقي النظريــات، بــل تحولــت بــسرعة إلى مــشروع فعّــال، وفتحــت أمامهــا الأبــواب لتــتحكم في أكــبر وأهــم بلــدين في المنطقــة (إيــران والعــراق)، إضــافة إلى الاختراقــات الكــبيرة في البلدان الأخرى كسوريا ولبنان واليمن والبحرين!

انتبــه ســنّة العــراق إلى أنفــسهم فاصــطدموا بواقــع جديــد أكــبر بكــثير مــن إمكانــاتهم الملموسـة، لكنــه لـيس بـأكبر مـن نفوسـهم العـامرة بكـل مـا في تـاريخ العـراق مـن هيبـة وشمـوخ، فـانطلقوا في مقاومــة لم يعــرف لهــا التــاريخ مثـيلا حتــى اضـطر الغــزاة الأميركــان لإعــلان انــسحابهم مــن العــراق، وطيلـة هـذه المنازلـة لم يفكـر الـسنة إلا باسـترجاع هيبـة العـراق وطـرد الغـزاة الـذين دنّـسوا أرض بغـداد في ٢٠٠٣/٤/٩، بينمــا كــان الآخــرون يتنافــسون لجمع الغنائم وتحقيق المكاسب.

نعــم، كــان القليــل مــن الــسنّة يفكــرون بطريقـة مختلفـة، فالدولـة العراقيـة بـدأت تتـشكل: الدســتور والبرلمــان والحكومــة والجــيش والأمــن.. إلخ، وكانــت الكفّــة الغالبــة للأحــزاب الــشيعية المواليـة لإيـران، فلـم يجـدوا طريقـا لتخفيـف حجـم الاســتئثار أو الهيمنــة الإيرانيــة إلا بالمــشاركة الــسياسية، وقــد كانــت هــذه مجازفــة سياســية لأسـباب كـثيرة، منهـا عـزوف الـشارع الـسنّي عـن كـل هـذه الترتيبـات الـتي صـنعت علـى عـين المحتـل الأميركــي، إضــافة إلى ضــعف فــرص المنافــسة مــع التيــارات الــشيعية المدعومــة أميركيــا وإيرانيــا وطائفيا.

بمـرور الوقـت ونتيجـة للظلـم الـذي بـدأ الـسنة يتعرضـون لـه في كـل مفاصـل الدولـة ومؤسـساتها الـسيادية والتربويـة والخدميـة، ازدادت قناعـة الـسنّة في المــشاركة، ولم تعــد مقتــصرة علــى الحــزب الإسـلامي الـذي تحمـل في البداية عبئهـا الأكـبر، بـل ازدحمــت الــساحة بعــدد مــن اللافتــات الــسياسية المختلفة ثقافيا ومجتمعيا ومناطقيا.

اكتـشف أهـل الـسنّة أيـضا أن الأسـس المبدئيـة للمقاطعــة لم تكــن مبنيــة بطريقــة منهجيــة، ولــذلك تركــت كــثيرا مــن الثغــرات والتــساؤلات العمليـة والميدانيـة دون حـل أو جـواب، فمـثلا: مـا حكـم العمـل في دوائـر الدولـة ومؤسـساتها المختلفـة؟ الجـيش والأمــن والتعلـيم والأوقـاف والـصحة والـنفط والمـاء والكهربـاء.. إلخ، إذا قلنـا بجـواز العمـل فيهـا فهـذا يـستلزم جـواز العمـل في وزاراتهـا الطبيعيـة، وإذا قلنا بالتحريم فكيف ستستمر حياة الناس؟

حقيقــة أن الفتــاوى الــتي حرّمــت علــيهم المـشاركة منعـتهم فقـط مـن المـشاركة في الخـط الأول لإدارة هــذه المؤســسات، فالـسني مـثلا يجـوز لــه أن يكــون معلمــا في مدرســة أو مــديرا لهــا أو مــشرفا أعلــى.. إلخ، لكنــه محــرّم عليــه أن يتــسنم منــصب وزيــر التعلــيم! وهكــذا في كــل الــوزارات، فالفتــاوى لا يمكــن أن تطالــب المعلــم الــسنّي أو الطالــب الــسنّي بــترك الجامعــة والمدرســة لا في ظــل الاحـتلال ولا في ظـل حكومـة الاحـتلال، وهـذا يعـني أن أهـل الـسنّة في كـل الـوزارات سـيكونون مـوظفين تنفيــذيين تحــت ســلطة الــوزراء الــشيعة، دون أيــة مزاحمـة أو مراقبـة، فالـسنّي عليـه أن يتلقـى الأوامـر فقـط، هـذه هـي النتيجـة العمليـة لفتـاوى المقاطعـة، ولهـذا الـسبب انـدفع أهـل الـسنّة في أكثـر مـن دورة انتخابيــة للمــشاركة متجــاوزين هــذه الفتــاوى أو النظريات.

أذكــر بهــذا الــصدد أن أول مــشكلة عمليـة واجهـت هـذه الفتـاوى هـي مـسألة إدارة المـساجد والمــدارس الدينيــة، حيــث كانــت تخــضع قبــل الاحـتلال لـوزارة الأوقـاف والـشؤون الدينيـة، وطرحـت في حينهـا فكـرة المطالبـة بـأن تـسلّم هـذه الـوزارة للـسنّة، لكــن بعــض علمــاء الــسنّة قــالوا: هــذه مـشاركة سياسـيّة!! وبعـد نقـاش طويـل وافـق الجميـع

على المطالبة بحل الوزارة وتشكيل الوقف السنّي إلى جانب الوقف الشيعي، ولكن الحقيقة لم تختلف كثيرا، فرئيس ديوان الوقف السنّي مضطر للتعامل مع حكومة الاحتلال وربما الاحتلال نفسه، وبغض النظر عن هذه الإشكالات فقد تمكّن السنّة من الحفاظ على مساجدهم ومدارسهم الدينية وأوقافهم بنسبة كبيرة، واستمرت الحياة في المساجد بصيانتها وحمايتها وتعيين الأئمة والخطباء والموظفين الآخرين. تجدر الإشارة هنا إلى أن عدد مساجد السنّة الخاضعة اليوم للوقف السنّي تزيد على العشرة آلاف مسجد، ناهيك عن المدارس والأوقاف التي لا حصر لها.

وإذا كانت الذهنية السنّية قد تفتّقت عن مثل هذا الحل بالنسبة للمساجد والأوقاف المختلفة، فما الحل بالنسبة للمدارس والجامعات ومؤسسات المجتمع الأخرى؟

من هنا يتبيّن أنّ العملية السياسية بأية صيغة كانت وبأي وجه تشكلت وسواء كانت خاضعة لأسس شرعية أو غير شرعية فإنها تعني نظام الحياة بكل مجالاتها وتعقيداتها، وإذا فكرت بمقاطعة هذا النظام فإنك في الحقيقة تفكر بمقاطعة الحياة كلها، إلا إذا فكرت بالهجرة إلى أرض أخرى ونظام آخر، لكن إلى أين سيمضي مجتمع أو شعب بأكمله؟

نعم، ربما تكون المقاطعة وسيلة فعّالة لإسقاط الأنظمة الفاسدة في كثير من دول العالم إذا اشتملت على حزمة من الفعاليات والشروط اللازمة، أما في الحالة العراقية فإن الكلام عن مقاطعة السنّة العرب دون المكونات الأخرى فهم الذين يتأثرون بفتاوى المقاطعة فقط، وهذا لن يؤدّي إلا إلى تمكّن المكونات الأخرى من بسط هيمنتها بالكامل وتقاسم الحصّة السنّية بطريقة مريحة ودون متاعب، أما الذين يفكرون بأن مقاطعة السنّة ستنزع الشرعية عن هذا النظام ومن ثم سيكون هناك تغيير في المواقف الدولية، فهذا لا شك ناتج عن قصور في فهم قواعد اللعبة العالمية ومعنى الشرعية واللاشرعية فيها.

لكل هذا، حسم السنّة ترددهم وقرروا المشاركة في الانتخابات، وقد فازوا عبر قائمتهم «العراقية» بالمركز الأول، لكن الرياح أيضا لم تتجه بما تشتهيه مراكبهم، فالمشاركة السياسية ليست لعبة سهلة، وليست هي العصا السحرية القادرة على استرجاع الحقوق واستعادة التوازن المطلوب.

العلويون في تركيا..
مشاكلهم ومطالبهم

محمد زاهد غول – القدس العربي ٢٠١٤/٤/٢١

تبنّت حكومة حزب العدالة والتنمية منذ صعودها إلى السلطة منهجاً يركز على سياسة الانفتاح والحل بشأن القضية العلوية، وأطلقت عام ٢٠٠٩ سلسلة من المؤتمرات لحل القضية العلوية برعاية وزير الدولة «فاروق تشليك»، وهي تجربة أولى لم يقِدم أحد على تنفيذها قبل ذلك، إلا أن هذه التجربة لم تسهم إلى الآن في إيجاد حلول عملية لهذه القضية.

لا يخفى على أحد أن المواطنين العلويين في تركيا قبل عشر سنوات مضت كانوا يتعرضون لضغوط من الدولة ومن أفراد الحيّ بوسائل وأشكال مختلفة، بغض النظر عن الطبقة التي ينتمون إليها. وفي الواقع فإن مشاكل العلويين هي مشاكل نابعة في الأساس من البناء السياسي والاجتماعي في تركيا الذي يؤثر فيه جميع المواطنين بشكل أو بآخر. وإذا ما نظرنا للمشاكل التي يعاني منها العلويون نجد أن أياً منها لا يحمل في طياته صفة بنيوية، بل يمكن حل بعضها بإدخال تعديلات على الدستور والقوانين، وأما القسم الأكبر منها فيمكن حله خلال فترة قصيرة

مـن خـلال بعـض الإجـراءات مـن قبيـل التطبيقـات الشرطية ذات الصلة.

وأمـا تلبيـة بعـض طلبـات العلـويين مثـل إعـادة فـتح التكايـا الخاصـة بهـم فتحتـاج إلى تعـديلات أكثـر جذريـة. وفي هـذا السـياق، نـرى أن مسـألة اعتبـار بيـوت الجمـع أمـاكن عبـادة العلـويين في تركيـا – أمـاكن للعبـادة معترف بهـا مـن قبـل الدولـة تـأتي في مقدمـة الطلبـات الـتي يتفـق عليهـا جميـع ممثلـي الطائفـة العلوية تقريبـاً. غـير أنـه علينـا ألا ننسـى أن الدولـة ليسـت لـديها سـلطة أو صـلاحية تـسمح لهـا بـالاعتراف ببيـوت الجمـع علـى أنهـا أمـاكن للتعبـد. ويمكـن الاعـتراف ببيـوت الجمـع ودعمهـا مـن قبـل وزارة الثقافـة كحـل وسـط بـدون الـدخول في مناقـشة مسألة تعريف العبادات لدى الدولة.

أصوات العلويين تُسمع من الآن فلاحقاً

يطالـب العلويـون في تركيـا بـبعض المطالـب الـتي يمكـن أن نـصفها بـ«غـير المباشـرة»، وهـذه المطالـب هـي إلغـاء رئاسـة الـشؤون الدينيـة، وحظـر الـدروس الدينيـة الإلزاميـة في المـدارس، وحتـى إلغـاء مبـدأ العلمانيـة وغيرهـا مـن المطالـب الـتي لا تهـم مـسألة تحسين أوضـاع العلـويين بـشكل مباشـر، والـتي حتـى إن تم تطبيقهـا سـتـشكل تـدخلاً في حقـوق سـائر أطيـاف المجتمـع. وقـد أعـرب العلويـون عـن اسـتيائهم وقلقهـم مـن التـصريحات الـتي تطلقهـا الغالبيـة العظمـى مـن الـسُنّة في تركيـا بـشأن عـدم اعتبـار العلوية مذهباً أو طائفة إسلامية.

وتظهـر المعطيـات التي بين أيدينا حاليـاً أن الغالبيـة مـن الـسُنّة بـدأت تـسمع أصـوات العلـويين ومطـالبهم، وأصـبحت أكثـر اسـتعداداً لفهمهـم، الأمـر الـذي أحيـا آمـال الكـثيرين بـشأن حـل مـشكلة التفرقـة بـين السنيين والعلويين في تركيا.

تقرير العلويين

أعـدت إحـدى المؤسـسات البحثيـة تقريـراً حـول المـشاكل الاجتماعيـة الـتي يعـاني منهـا العلويـون في تركيـا بهـدف إلقـاء الـضوء عليهـا. ويعكـس التقريـر وجهـة نظـر المجتمـع التركـي وتوجهاتـه الـسياسية والاجتماعيـة إزاء القـضية العلويـة. وقـد مـرت عملية إعـداد التقريـر بمراحـل مـن الـشفافية واحـترام المعـايير كـي يعكـس الحقـائق دون نقـص أو زيـادة. وقـد قامـت بإعـداد التقريـر لجنـة مكونـة مـن ٦٤ شخـصاً مـا بـين أكـاديميين وعلمـاء اجتمـاع وإحـصاء وسياسـة وغيرهـم. وأجريـت الدراسـة عـبر عقـد لقـاءات مـع ٢٢١٧ جمعيـة مختلفـة، منهـا ٦١٤ جمعيـة علويـة، في ٢٦ محافظة في عموم تركيا.

مطالب وتأويلات مختلفة

أظهـرت هـذه الدراسـة أن تعريـف العلويـة وكـذلك الحقـوق الـتي يطالـب العلويـون المقيمـون في مختلـف مـدن تركيـا تختلـف كـثيراً عـن بعـضها الـبعض، كمـا أشـارت إلى أن العلـويين أنفـسهم لـيس بيـنهم اتفـاق في وجهـة النظـر حـول مـا إذا كانـت العلويـة طريقـة صـوفية أم مـذهباً منفـصلاً أم دينـاً مـستقلاً أم حتـى مجموعـة عرقيـة؟ فبينمـا يـؤمن ٤٨,٦٪ مـن الـذين خـضعوا للدراسـة مـن العلـويين أن العلويـة مـا هـي إلا مـذهب إسـلامي، قـال ١٩,١٪ إنهـا توجـه ثقـافي، فيمـا أقـرّ ١٢,٣٪ بأنهـا ديـن مـستقل. هـذا في الوقـت الـذي اعتـبر فيـه ٥٧,١٪ مـن الخاضـعين للدراسـة مـن غـير العلويين أن العلوية هي مذهب إسلامي.

ونـرى مـن خـلال هـذه الدراسـة أن العلويـة خرجـت في بعـض مـدن تركيـا مـن كونهـا معتقـداً دينيـاً وأُلبـست حُلّـة الهويـة العرقيـة، وعنـدما وُجِّـه سـؤال إلى ممثلـي الجمعيـات العلويـة الـتي خـضعت للدراسـة مفـاده «أي المجموعـات العرقيـة الـتي تعتـبرون أنفـسكم تـابعين لهـا؟»، أجـاب ٢١,٣٪ أنهـم يعتـبرون أنفـسهم مجموعـة عرقيـة مـستقلة، فيمـا أجـاب ١٧,٢٪ مـن الخاضـعين للدراسـة و١٨,٥٪ مـن المـواطنين العلـويين أنهـم لا يتبعـون مجموعـة عرقيـة منفـصلة، بـل هـم مواطنـون أتـراك يقيمـون في جمهوريـة تركيـا. وهـو مـا أظهـر بوضـوح أن تعـبير «أنـا مـواطن تركـي وطـني تركيـا» الـذي وضعـه رئـيس الـوزراء «رجـب طيـب أردوغـان» للـتخلص مـن مـسألة الهويـة، قـد لاقـى ترحيباً لدى قسم كبير من المجتمع التركي.

وكشفت الدراسة أن ٦١،٣٪ من العلويين في تركيا لا يؤمنون بأي إيديولوجية فكرية معينة، وأن ٣١٪ منهم يؤيدون الفكر اليساري، و٧،٧٪ منهم يدعمون الفكر اليميني.

وأضافت أنه رداً على سؤال حول توجهات الهوية الدينية، أجاب ٧٦،٤٪ من الخاضعين للدراسة أنهم «علويون»، فيما وصف ٢٠،٧٪ أنفسهم بأنهم «مسلمون».

وأكد ٢٩،١٪ من العلويين المشاركين في الدراسة أنهم لا يذهبون إلى بيوت الجمع، بينما أشار ٣٠،٤٪ أنهم يحصلون على معلوماتهم الدينية من عائلاتهم، و٢٣،٧٪ أنهم يحصلون عليها من الكتب، وأوضح ١٦،٢٪ أن بيوت الجمع تشكل بالنسبة مصدراً لاكتساب المعلومات الدينية.

المشكلة المشتركة مختلفة للغاية

وجّه القائمون على الدراسة سؤالاً إلى المشاركين في البحث مفاده «ما هي أكبر مشكلة تواجهها تركيا؟»، فجاءت مشكلة العلويين في المركز الـ١٣ على قائمة أكبر المشاكل التي تواجهها تركيا، فيما أعرب ١٪ الخاضعين للدراسة أن هذه القضية تلقى الدعم اللازم. فيما اعتبر العلويون المشاركون في الدراسة أن مشكلتهم تحتل المرتبة الـ٨، وقال ٢،٨٪ أن القضية تلقى الدعم الكافي.

وتلقى المشاركون في الدراسة سؤالاً يقول «هل تعتقد وجود مشكلة للعلويين في تركيا؟»، فأجاب ٨٧،٢٪ من العلويين بأن هناك مشكلة يعانون منها في تركيا، في وقت أقرّ ٣٣،١٪ فقط من غير العلويين الخاضعين للدراسة بهذه الحقيقة. وبالنظر إلى اختلاف العرق، اعترف ٣٣،٩٪ من الأتراك بوجود المشكلة، فيما أقرّ ٥٧٪ من الأكراد بوجودها.

وأضافت الدراسة أن ٧٤،٩٪ أجابوا بنعم بإصرار على سؤال «هل تؤمن بضرورة اعتراف الدولة ببيوت الجمع على أنها أماكن للعبادة؟»، في الوقت الذي أعرب ٢٨،٢٪ من الخاضعين للدراسة من غير العلويين عن اعتراضهم على هذه الخطوة ورفضهم لها.

وطالب ٧٣،٣٪ من العلويين المشاركين في الدراسة بضرورة تشكيل هيئة عليا مستقلة تهتم بشؤونهم الدينية كرئاسة الشؤون الدينية التي تهتم بشؤون الأغلبية من السُنّة، فيما أعرب ٢٣،٩٪ فقط من الخاضعين للدراسة من غير العلويين عن دعمهم لهذا المقترح، ما يثبت لنا عدم وجود اتفاق مجتمعي حول هذه القضية.

قضية التمثيل السياسي

أجاب ٦٠٪ من العلويين المشاركين في الدراسة بالإيجاب على فكرة تأسيس حزب سياسي يمثلهم، فيما أكد ١٠٪ فقط من الخاضعين للدراسة أن هناك حزبا سياسيا قائما بالفعل يمثل العلويين في الحياة السياسية في تركيا.

من الملاحظ أن حكومة حزب العدالة والتنمية تسير بخطى ثابتة من أجل إيجاد حل لمشاكل العلويين، غير آبهة بوجود العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجهها تركيا في الوقت الراهن، وذلك بالرغم من تصرف العلويين أنفسهم إزاء الحكومة وفق الأحكام المسبقة، وينبغي للحكومة اتخاذ خطوات أكثر جذرية من أجل حل هذه المسألة. وحتى أن إظهار إرادة حل المشكلة يعني أن هناك سعيا جادا لمواجهة الماضي، وهو ما يعتبر في حد ذاته مكسباً كبيراً.

وبدأت في عام ٢٠٠٩ مبادرات الانفتاح التي أطلقتها حكومة حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا من أجل إيجاد حلول لمشاكل مستعصية يأس أصحابها من حلها في الماضي، وقد حاولت حكومة الحزب الحصول على دعم المعارضة في هذه المشاكل المستعصية، لكن دون جدوى.

غير أنها حصلت على دعم العديد من المثقفين

والعلماء وأصحاب الرأي من الذين يؤمنون بأن النُهُج التقليدية لن تحل المشكلة ولن تحقق الوحدة والتكاتف بين أبناء الوطن الواحد.

وفي الوقت الذي أقدمت فيه الحكومة على خطوات جديرة بالملاحظة من أجل حل القضية الكردية، لم تظهر الحماس ذاته في التعامل مع قضايا العلويين من أجل فهمها والعمل على حلها. وتعتبر عملية الاستقطاب السياسي التي شهدتها تركيا مؤخراً والموقف المتشدد للمعارضة من العوامل الأساسية لتفاقم هذا الأمر. بيد أن المسألة العلوية ـ مثلها كالقضية الكردية ـ من الممكن أن تتسبب في نشوب صراعات اجتماعية، وتمهد لأرضية خصبة لمحاولات الاستغلال الدنيئة الرامية لتهديد وحدة الوطن، وينبغي لتركيا في الوقت الذي تسعى فيه لأن تكون مؤثرة في محيطها الخارجي، أن تبذل جهوداً حثيثة من أجل تحقيق الوحدة والترابط بين أبنائها بكافة أطيافهم وتوجهاتهم، ولكن علينا ألا ننسى أن هذه المهمة لا تقع على عاتق الحكومة فحسب، بل هي قضية تهم كل فرد في تركيا.

النظام مصدر المشكلة

إن المشاكل التي يواجهها علويو تركيا في الوقت الراهن تحتاج إلى دراسات جادة دون التغاضي عن أبعادها التاريخية والسياسية والاجتماعية، ويتحتم علينا عدم الاكتفاء بتحليل موقف الحكومة ومطالب العلويين والظروف التي تعيشها تركيا الآن من زاوية منظورة فقط، بل يجب القيام بعملية استطلاع رأي شاملة من أجل رصد الصورة الواقعية قدر المستطاع، كما يجب علينا ألا ننسى أن وصف القضية العلوية بـ«المشكلة» هو مشكلة في حد ذاته، فيجب الاعتراف أن هناك مشكلة ومصدرها هو النظام الذي لم يلبِ مطالب العلويين.

إن السياسات التي انتهجتها الحكومات المتعاقبة في تاريخ جمهورية تركيا علّقت العمل على حل العديد من القضايا، وعلى رأسها مسألة العلويين لفترة طويلة. إلا أن مبادرات الانفتاح التي أقدمت الحكومة على طرحها مؤخراً أولت اهتماماً أكبر بتناول قضايا العلويين، الأمر الذي رفع من سقف مطالبهم، خصوصاً وأن العديد من السياسيين بدأ بتقديم الوعود لحل مشاكلهم.

إيران ومحيطها الأمني

د. سلطان محمد النعيمي – الشرق الأوسط ٢٠١٤/٤/٢٠

تنتهج الأنظمة التي تراودها الشكوك من نيات الدول الأخرى والرغبة في الإطاحة بها، أساليب تجد فيها الطرق الناجعة لدرء تلك المخاطر. ويأتي توسيع المحيط الأمني نموذجا لدرء تلك الهواجس. إن دراسة مفهوم المحيط الأمني وأثره على مدى بعد أو قرب التهديد، وإسقاط هذه الدراسة على دولة مثل إيران ونظامها، ربما تعلل سبب استمرار نهج النظام الإيراني لسياساته التي تأتي مغايرة في العديد من المواقف لتوجهات دول المنطقة، بل إنها تسير في بعض الأحيان مهددة لاستقرار المنطقة.

بداية، يعرف المحيط الأمني بأنه الحيز أو المساحة التي في حال جرى اختراقها من قبل طرف آخر بأي وسيلة من الوسائل، يعدّ تهديدا مباشرا لأمن تلك الدولة. ويتوقف نطاق المحيط الأمني على قدرة البلد وسعة نفوذه في العالم الخارجي، فكلما كانت قدرة ونفوذ البلد ضئيلة، كان محيطه الأمني محدودا أيضا، والعكس صحيح.

لقد كان للتحولات التكنولوجية واختراع الأسلحة بعيدة المدى، دور في زيادة القابلية العسكرية للدول للقيام بالهجوم ما وراء الحدود الوطنية، وبالتالي دفع دائرة التهديدات إلى أبعد

نقطة خارج تلك الحدود. وتتمثل تلك الوسائل في التالي: الصواريخ الباليستية بعيدة المدى، والطائرات الهجومية، والخلايا والتنظيمات السياسية أو العسكرية في الدول المجاورة، وإنشاء قواعد وتحالفات عسكرية، وإقامة نظام أمني مع دول الجوار.

يلتفت صانع القرار السياسي والاستراتيجي والعسكري داخل دائرة النظام الإيراني ليجد نفسه منذ نجاح الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، مع سقوط الشاه وظهور الجمهورية الإيرانية، محاطا بالتهديدات. فالنظام الإيراني لا يزال ينظر إلى الغرب بعين الريبة، ويرى أن الهدف المنشود للساسة هنالك هو الإطاحة بالنظام القائم في إيران. ويأتي الوجود الأميركي في أفغانستان بعد أحداث ١١ سبتمبر (أيلول) يليها الاحتلال الأميركي للعراق في ٢٠٠٣، ليزيد من تلك المخاوف التي لا تفتأ تظهر في تصريحات المسؤولين الإيرانيين، فمرشد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي في تصريحاته الأخيرة يرى أن الغرب مهتم بتغيير النظام، أكثر من إنهاء الخلاف الخاص ببرنامج بلاده النووي.

هذه المخاوف دفعت بالنظام الإيراني إلى السعي الحثيث لتأمين محيطه الأمني، والسعي إلى الدفع به بعيدا عن حدود الدولة. من هذا المنطلق طالب النظام الإيراني بإقامة نظام أمني في الخليج يضم إيران مع دول الخليج العربي، وأكد أن أمن الخليج رهن بالدول المطلة عليه، وبالتالي لن يعود للوجود الأجنبي مبرر لبقائه والذي يأتي بدوره مهددا له.

لا شك أن مثل هذه الفكرة التي جاءت في مقال سابق لوزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف في صحيفة «الشرق الأوسط»، تلقى قبولا في شكلها وإطارها العام، غير أن السير بعيدا في تفاصيلها يجعل المتتبع يتساءل كيف يمكن لهذه الفكرة أن تبصر النور في ظل الملفات العالقة بين إيران ودول الخليج العربي من قبيل قضية الجزر الإماراتية المحتلة والاستمرار في التدخل في شؤون دول الخليج، وغير ذلك من الإشكاليات التي تأتي بحق معضلة أمام مثل هذا الطرح.

وبالتزامن مع هذه النداءات، فإن النظام الإيراني لم يدخر جهدا في الوقت ذاته لتوسيع محيطه الأمني عن طريق السعي للحصول على الوسائل الأخرى التي من شأنها تحقيق ذلك المبتغى، من قبيل تطوير منظومة الصواريخ بعيدة المدى والتي يصل مداها إلى قرابة ألفي كيلومتر.

ويأتي ما يطلق عليه بمحور المقاومة واستمراره هدفا منشودا للنظام الإيراني لتعزيز محيطه الأمني. فبقاء الحليف الاستراتيجي المتمثل في نظام بشار الأسد، بالإضافة إلى الاستمرار في دعم حزب الله وحركة حماس والجهاد الإسلامي.. هو لا شك رادع معزز للمحيط الأمني للنظام الإيراني. ولذا يرى قائد فيلق القدس قاسم سليماني أن دعم المقاومة هو الضمان الحقيقي لمصالح إيران، وتأتي جبهة المقاومة بوصفها أحد العوامل الرئيسة التي تضمن المصالح الوطنية في الحاضر والمستقبل.

هل اتضح إذن لماذا يستميت النظام الإيراني دفاعا عن الأسد؟ وهل أدركنا الآن المعنى الحقيقي لتصريح قائد سلاح الطيران في الحرس الثوري الإيراني، حين قال إن بقاء الأسد في السلطة لأن إيران أرادت ذلك؟

إن استشراف المستقبل يشير إلى أن

النظام الإيراني في ظل مخاوفه وهواجسه من نيات الغرب، سيدفع لا شك إلى سعيه لتوسيع محيطه الأمني، والذي سيخلق من جانبه مزيدا من الاضطرابات في المنطقة.

لا خلاف على أن إيران دولة إقليمية مؤثرة في المنطقة ولها الحق في الحفاظ على مصالحها، ولكن تبقى هناك قواعد للعلاقات الدولية لا بد من مراعاتها.. فتوسيع هذا المحيط ليأتي على حساب الدول المجاورة سيخلق معه المزيد من التوتر، وهو أمر يتنافى مع ما تقدمت به حكومة روحاني نحو تعزيز العلاقات بدول المنطقة وخاصة الخليجية منها، ويضع معه تساؤلا حول مبادرة روحاني الأخيرة لإقامة تعاون إقليمي مشترك، باعتبار أن الأمن في المنطقة هو مسؤولية جميع دولها عبر منظمة أو اتفاق.

إن فكرة التعاون الإقليمي المشترك التي تقدم بها الرئيس الإيراني حسن روحاني ستلقى الترحاب من دول الخليج العربي، مثلما رحبت بتصريحات الرئيس الإيراني مع وصوله للسلطة. ولكن ما لا بد من مراعاته هو وجود أرضية مشتركة تقوم على أساس احترام خصوصيات الدول وعدم التدخل في شؤون الآخرين، وأن يأتي ذلك التعاون مراعيا لجميع الدول، وألا يأتي الثقل الإقليمي لبعض دول المنطقة بالصورة التي تجعل من دور بقية دول الخليج العربي لاغيا.

استمرار الخلافات والتباين لن يجدي نفعا للمنطقة، ولن يتحقق الأمن والاستقرار لدول الخليج العربي إلا بالجلوس خلف طاولات التحاور لطرح وجهات النظر، وحل الخلافات للوصول إلى المقاربات التي ستنعكس أصداؤها بشكل إيجابي على شعوب المنطقة.

سلطان البُهرة
يقاضي طيران اليمنية
ويطالبها بتعويض يصل إلى ٥ مليون دولار

موقع يمن فويس – ٢٠١٤/٤/١٦

قال مصدر في طائفة البهرة «المكارمة اليمنيين»، ان مكتب محاماة خاص في لندن يبحث مع شركة محاماة يمنية رفع دعوى قضائية باسم سلطان البهرة مفضل سيف الدين الذي استأجر طائرة خاصة من الخطوط الجوية اليمنية من طراز ٣٣٠ ايرباص لنقله وحاشيته الى مطار مومباي الهندي، مشيرا الى ان الطائرة تأخرت عن موعدها المقرر في عدن بسبب عطل فني في صنعاء مما تسبب له حرجا بالغا وارتباكا في مواعيده المضروبة وفق اجندة محددة سلفا، وانه تأخر عن اكثر من ٧٠٠ شخص من اتباعه كانوا ينتظرونه بالقرب من مطار مومباي الهندي لاستقباله والسلام عليه..

وأضاف المصدر الذي رفض الاشارة اليه ان المكتب الانجليزي يطالب بتعويض مادي عن الخسائر المعنوية التي لحقت بالسلطان وحاشيته تصل الى خمسة مليون دولار..

وعلمت ايلاف ان أصواتا في اليمنية كانت ترفض تأجير الطائرة لسلطان البهرة نظرا لتآكل الاسطول حيث لم يتبق إلا اربع طائرات فقط احداها لاتزال معطلة في مطار شارل ديجول الدولي بالعاصمة الفرنسية

باريس، وأنهم كانوا يرون ان استغلال بقية الطائرات في انجاز الرحلات الرسمية التي تم الالتزام بها مع الركاب في عدة مطارات دولية افضل من تأجيرها، الا ان قيادة الشركة اصرت على ايجار الطائرة للسلطان مفضل بـ٣٠٠ الف دولار، مبررة ذلك بإعادة جزء من الخسارة التي تتكبدها الشركة يوميا.

وقال مصدر في الشركة ان طيران اليمنية تعرض خلال الاسبوع الماضي لأكثر من ١٠ اعطال وصفها بالكارثية وانه اصبح متآكلا ولايمكن الاعتماد عليه خلال الفترة القادمة، وواجهة غير مشرفة لليمن لدى العالم، بل انه اصبح يشعر بالحرج من العمل في الشركة ويواجه العديد من الاحراجات في المطارات الدولية التي تعامل طيران اليمنية معاملة خاصة وكأنها ستنفجر او ستصاب بالأعطال الطارئة في اية لحظة، وانهم الطيران الوحيد الذي يتأخر في المطارات الدولية العربية والاجنبية على حد سواء بسبب سوء الصيانة وقدم الطائرات وعدم الاهتمام بها..

وكان سلطان البهرة مفضل سيف الدين مع الوفد المرافق له تأخر عن موعده المقرر في النهار ولم يصل الهند إلا مساءً، الامر الذي حرم اكثر من ٧٠٠ الف شخص من اتباعه من استقباله والتبرك برؤيته؛ بسبب عطل فني في طائرة الايرباص طراز ٣٣٠ كشف عنه في مطار صنعاء قبل رحلتها صنعاء- عدن – مومباي.

افسحوا للبهائية بيننا!

إسحاق يعقوب الشيخ – الأيام البحرينية ٢٠١٤/٤/٢١

ان كل جديد له غربة حدثه في مكونات الحياة واشيائها وفي وعي الناس .. فكيف إذا اخذ هذا الجديد غُربة واقعه في وعي الأحاسيس الدينية عند الناس؟!.

ان سُنّة الحياة هو هذا المسار التاريخي في التغيير والتجديد في مكونات الحياة المادية والفكرية وفي كل شيء حتى في الدين!!.

ان مسألة نهاية الانبياء وجدت لها تحولاً موضوعياً وذاتياً ضمن مكون هذا المسار التاريخي في مخاض الوعي المادي والفكري في ظهور «بهاء اللّه رسول الدين البهائي» وكان ان لاقت دعوة الترسل البهائية تضافر وتعاضد كل الأديان السماوية ضدها: كدين جديد ينادي بالمحبة الإنسانية لكل الأديان في تعدد وتنوع تعايشها!!.

ان الناس احرار في مكونات عقائدهم وأديانهم.. وان الأديان كلها دون استثناء في منهجية دينية متكافئة المنزلة فيما بينها .. وعلى قاعدة ترى ان الدين الذي لا يحترم الدين الآخر .. لا يحترم نفسه .. وهو ما ينعكس في صيغة نبل التعايش بين الأديان. لقد كان الاضطهاد الديني الذي يشكل اقسى الاضطهادات الفكرية والروحية هو اضطهاد الآخر في عقيدته الدينية!.

ان العقيـدة البهائيـة الدينيـة ومنـذ ظهورهـا تتعـرض إلى القمـع والاضـطهاد والتنكيـل والازدراء .. الامـر الـذي يتعـارض مـع الحريـة الروحيـة والفكريـة في تعـايش الأديـان كلـها وبـدون اسـتثناء بمـا فيهـا الـدين البهـائي.. وتـأتي مقولـة الفـاروق «متـى استعبدتم النـاس وقـد ولـدتهم امهـاتهم احـرارا» واقعـا يـرفض اسـتعباد الفكـر الـديني للفكـر الـديني الآخـر!! وهـو مـا يتأكـد في الآيـة القرآنيـة «لكـم دينكم ولـي ديـن» وكـان الترجل الفكـري والروحي في منظـور عـالم ديـن مرمـوق في الجمهوريـة الاسـلامية آيـة الله عبدالحميـد معـصومي طهرانـي في شـق عـصا الطاعـة لولايـة الفقيـه في القيـام بإهـداء البهـائيين حـول لوحـة خـط فنيـة مزخرفـة تُبرز آيـة مقتبسـة منقوشـة مـن آثـار بهـاء الله رسـول الـدين البهـائي .. فيمـا قـرأه هـذا العـالم الإيرانـي الجليـل بـان القـرآن الكـريم يوصـي بتعـايش الأديـان .. ويؤكـد آيـة الله عبدالحميـد معـصومي طهرانـي بأنـه قـام بكتابـة وتنفيـذ لوحـة الخـط الفنيـة كبـادرة رمزيـة للتـذكير بأهميـة احـترام الـنفس البـشرية والتعـايش الـسلمي بـين البـشر في اشـارة إلى كتـاب البهائيـة «الاقـدس» لرسـول البهائيـة في دعوتـه القائلـة: «عاشـروا مـع الأديـان بـالروح والريحـان ليجـدوا مـنكم عـرف الـرحمن ايـاكم ان تأخـذكم حميـة الجاهليـة بـين البريـة كـل بـدء مـن الله ويعود إليه انه لمبدئ الخلق ومرجع العالمين».

ان نورانيـة روحانيـة الموهبـة الايمانيـة لـدى هـذا العـالم الـديني الجليـل دعتـه ان يخـرج علـى تقاليـد الدغمائيـة الدينيـة المتنفـذه في الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة ويـصعد بوعيـه التـنويري علـى ظلـم وظلاميـة ولايـة الفقيـه في قمعهـا وتنكيلـها بالاقليـات الدينيـة والمذهبيـة في إيـران بمـا فيهـا البهـائيون وفي اعتقـال الألـوف ويوجـد الآن في الـسجون الإيرانيـة ١١٥ بهائيـاً محبوسـين لمجـرد ايمـانهم بالـدين البهـائي وهـم محرومـون مـن التعلـيم الجـامعي ومـضايقون في كـسب لقمـة العـيش وممنوعـون مـن ممارسـة طقوسـهم الدينيـة ودفـن موتـاهم وفقـاً لـشعائرهم الدينيـة وتتعـرض مقـابرهم للهـدم والتـدنيس كمـا ينقـل في الاخبـار!! ان دعـوة هـذا العـالم الإيرانـي تـشكل دعـوة صـادقة لـروح التعـايش الـسلمي الـديني الآمـن والمـستقر في التـسامح والتعـايش بـين كـل الأديـان .. دعـوة مباركـة عليهـا ان تأخـذ طريقهـا إلى دول الخلـيج والجزيـرة العربيـة وجميـع الـدول العربيـة .. في اعطـاء الديانـة البهائيـة حقهـا في ممارسـة طقوسـها الدينيـة وتكـريس مواطنيتهـا في العـدل والمـساواة بـين جميع الأديان والمعتقدات في مجتمعاتنا العربية.

ان صـدقية الـدين ان تمـنح حريـة الـدين للآخـر.. وخلاف ذلك لا يمت إلى صدقية الدين بشيء!!.

«ورقـاء روحـاني» هـذا البهـائي البحـريني الـشامخ والمتفجـر وطنيـة بحرينيـة وإنـسانية علـى اثـر هـذا الخـبر الجلـل دلـف علينـا في دار «الأيـام» والبهجـة تكـاد تقتلـع خطواتـه مـن شـدة الفرحـة الـتي انتابتـه وسـيطرت علـى اعمـاق مـشاعره وهـو يُـزف لنـا هـذا الخـبر الجلـل تجـاه قيـام هـذا العـالم الإيرانـي الـذي ينتـصر لحريـة الأديـان .. وكانـت دمـوع الفـرح تنـساب بهجـة مـن مـآقي «ورقـاء روحـاني» وكـان كلمـا اراد الكـلام تخانقـت كلماتـه في دمـوع فـرح وبهجـة لا تجـارى ومـا كـان مـن كريمتـه الفاضـلة .. الا ان أنابـت عنـه الحـديث «ورقـاء روحـاني» هـو صـديق جيـاش المـشاعر حبـاً لجريـدة الأيـام وهـو يراهـا الـصحيفة التنويريـة الاكثـر تعلقـاً إلى قلبـه في الـدفاع عـن حـق الاقليـات الدينيـة بمـا فيهـا البهائيـة .. ينـشج نـشيجاً وجـدانياً مرهفـاً.. ويمـسح عينيـه بكفيـه متعثـراً في نـشيج فرحـة وجدانيـة مـن ان يُعـبر عـن مـدفون أحاسـيس مـشاعره الإنـسانية البحرينيـة البهائيـة الـتي تتنـدى بهجـة تجـاه معـاني اللوحـة الفنيـة الدينيـة الـتي اهـداها آيـة الله عبدالحميـد طهرانـي إلى البهائيين في أنحاء العالم!!.